

١٠٠٠ · ١٠٠٠ · ١٠٠٠

هيا بنا مع النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نتعلم منه التعوذات النبوية المباركة التي نعتصم بها ونتحصن، ونلجأ إلى الله تعالى بها، رجاء أن يحمينا من المخاطر والأضرار والمفاسد الظاهرة والباطنة.

وقد بينا - فيما سبق - أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ما ترك باب خير يُقَرَّبُ إلى الله عَزَّجَلَّ ويُدْخِلُ الْجَنَّةَ إِلَّا أَمَرْنَا بِهِ وَدَلَّنَا وَحَثْنَا عَلَيْهِ، وما ترك باب شرب يباعدنا عن الله ويدخلنا النار إلا وحثرنا منه ونهانا عن الوقوع فيما يقتضيه.

وقد كان النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُقَدِّمُ لِلنَّاسِ مَا يَنْفَعُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ وَأَخْرَاهُمْ، يقدم لهم أعمالاً يقومون بها فتأتيهم بالحسنات الوفيرة وترفع درجاتهم يوم لقاء ربهم، ويبين لهم أموراً تُضُرُّ بِهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، يبين لهم هذه الأعمال، وي طرح عليهم طرْحاً نبوياً مباركاً يواجهون به الأعمال السيئة في مضارها ومفاسدها، فكان النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُعَلِّمُ النَّاسَ كَيْفَ يَتَعَوَّذُونَ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ السَّيِّئَةِ، وهذا ما سنعيشه معه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في موضوعاتنا القادمة إن شاء الله - تعالى - .

تعوذات النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : هي تلك الأدعية المباركة التي يطلق عليها التعوذات، أي: سأل النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ربه عَزَّوَجَلَّ أن يحميه من أمور تتعلق به في نفسه أو بأمته.

وهذه التعوذات النبوية تشمل الحياة كلها، تشمل الحياة والموت، تشمل الغنى والفقير، والصحة والمرض، والليل والنهار، والإنس والجن، والسراء والضراء، فالأحوال كلها لها تعوذات تناسبها.



عَفَا عَفَا عَفَا

إننا أمام تعوذ سميته: «التَّعَوُّذُ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْ شَرِّ الْحَوَاسِّ»، أي: هذه الحواس الخمس التي نتحسس بها الأشياء، ونتعرف بها على ماحولنا؛ كاليد، واللسان، والعين، والأذن، والأنف، هذه كلها تحتاج إلى أن يقيك الله عَزَّجَلَّ شرها، ويدفع عنك أذاها.

عن شَكْل بن حُمَيْدٍ، قال: قلت: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلَّمَنِي دُعَاءً أَنْتَفِعُ بِهِ، قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي، وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّي» (١).

هذا صحابي جليل يرى أن أعضاءه قد تتفلت منه، فاللسان يتكلم ببعض الكلام السيِّء، أو أن عينه قد تنظر إلى ما لا يرضي الله، إنه يعلم أن لهذه الحواس منافع، وأنها ربما تقع في بعض المفاسد، وهو يريد أن يُطَوِّعَ حَوَاسَّهُ كُلَّهَا لِلَّهِ تَعَالَى، فلا يأتي من ورائها ضرر، ولا يترتب على شيء منها مفسدة، والذي يدلّه على خير هذه الحواس وما يصلحها، وَيُعَلِّمُهُ ما يحميه من شرها هو رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .

(١) (صحيح) سبق تخريجه، ص (٣٤)، هامش (١).

وكل تعوذ نقوله ينبغي أن يُحْفَظَ بلفظه؛ لأن الصيغة النبوية صيغة مباركة.

وقد خص النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هذه الحواس الخمس بالتعوذ لأنها هي التي يأتي الشر من ورائها؛ إذ هي مَثَارُ الشهوة، ومناطق اللذة، وهي منبع الشر وأصله وقاعدته، وهذا بالنسبة لمن يسيء استخدامها.

قوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي»:

السمع نوعان: حِسِّيٌّ ومعنوي.

فالحسي أي: الأذن، وشرُّها أن يصبها الصَّمَمُ، أو ضعفُ السمع، فالمعنى: أَعُوذُ بِكَ مِنْ ضَعْفِ سَمْعِي، وأسألك أن تكون أذني سليمة حساسة لا تعاني من أي مرض.

والمعنوي: الاستعاذة من استخدام السمع فيما لا يرضي الله عَزَّوَجَلَّ، أو أن يميل السمعُ إلى المحرمات كالغيبة فإنها مِنْ شَرِّ السمع، وكذلك الاستماع إلى الأغاني المحرمة التي تخرس على الرذيلة والشهوات.

ومن صور الاستعاذة من شر السمع: الاستعاذة من رد الحق وعدم قبوله، فربما ينصح شخصٌ شخصاً آخر نصيحة فيستهزئ به ولا يجيبه.

فالمعنى: أعود بك أن لا أستمع إلى مَنْ ناداني إلى الحق، وأمرني بالحق، بل اجعل سمعي قابلاً للحق مائلاً إليه، قال عَزَّجَلَّ: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [الأنفال: ٢١].

ويمكن أن يكون من صُور شر السمع: أن يكون سامعاً للأذان فلا يذهب إلى الصلاة، أو لا يردد الأذان.

قوله: « وَبَصْرِي »: البصر حسي ومعنوي.

وشر البصر: عَمَاهُ أَوْ ضَعْفُهُ.

أو استخدام البصر في النظر إلى ما حرمه الله، كالنظر إلى النساء الأجنبية.

أو يتجسس على الناس أو يتلصص على العورات.

أو عدم استخدام البصر فيما يرضي الله عَزَّجَلَّ، فقد أعطانا الله عَزَّجَلَّ البصر لننظر به في ملكوت المسافات والأرض وتبصر به الطريق ونرشد به الناس.

ومن صور شر البصر: المرور على الآيات والعِظَات من غير رؤيتها أو الاهتداء بها.

قوله: « وَلسَانِي » شر اللسان: أن ينعقد فلا ينطق بالكلام، مثل

البكم، أو التلعثم، فالمعنى: يا رب اجعل لساني طلقاً ذلقاً فصيحاً، وجنبي عيوب اللسان.

أو أن المعنى: الاستعاذة من آفات اللسان: الكذب، والغيبة، والنميمة، وشهادة الزور، وما شابه ذلك.

أو الاستعاذة من عدم استخدام اللسان فيما خلق له من قراءة القرآن الكريم وَذَكَرِ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ، ودعوة الناس إلى الخير.

قوله: « وَقَلْبِي » شر القلب نوعان:

الأول: ضَعْفُهُ عن العمل بسبب إصابة صمام القلب أو غيره، فانوَ التَعَوُّذُ من هذا الشر وأنت تدعو بذلك، فنحن في زمان كله أزمات ومفاجآت بالإضافة إلى الضغوط النفسية وغيرها.

والمعنى: يا رب عَافِ قَلْبِي؛ ليمد جسمي بالطاقة والحيوية، وقِهِ الأمراض جميعاً.

الثاني: أن يمتلئ القلب بالكبر، أو العُجْبُ، أو الحقد والحسد، وإضرار الكراهية أو الشحنة لأحد من الناس.

وهناك معنى دقيق للمقربين من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو: أنه يستعيذ بالله من أن ينشغل قلبه بغير الله، وكل شيء ينشغل به قلبك فهو يشارك نصيبه من الله عَزَّوَجَلَّ.

والمعنى: اللهم اجعل قلبي معمورًا بحبك، لا يفكر إلا فيك، ولا يذكر أحدًا سواك.

وهذا مثل: «رَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسَاجِدِ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»، وقد قال العلماء: الكعبة بيت الله في الأرض، والقلب بيت الله في العبد.

ويدخل في شر القلب: الاعتقادات الفاسدة؛ كاعتقاد الضر والنفع في السحرة، أو أن أحدًا عمِلَ له عملاً فأصابه الضر بغير إذن الله تعالى! أو اعتقاد أن بعض المدفونين في القبور أو الأضرحة ينفع أو يضر، أو يجعل المرأة تضع حملها، أو يجعل من لا تحمل حاملًا!! فهذه اعتقادات فاسدة، تضر القلب، وتضعف الإيمان إن لم تقتله وتذهب به!! نعوذ بالله من الضلال.

قوله: «وَمَنِيٌّ» أي: العضو التناسلي وهو (الفرج)، والمعنى: أعوذ بك من أن أزني، أو أن أنزل مني في ما لا يرضيك.

والذي يرضي الله عَزَّجَلَّ أن يكون وضعُ المنى في الحلال، وهذا الحلال في شيئين في الإسلام، ملك اليمين؛ وهن الإماء والجواري ولا وجود لهن الآن.

أو الزوجة وهي الحلال الطيب، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ

لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾.

[المؤمنون: ٥-٧].

فالمعنى: يارب أعني أن لا ينزل مني إلا في المكان الحلال، فلا زنا ولا شذوذ - فعل قوم لوط - ولا استمناء - الذي يسمونه العادة السرية -.

فيا أيها الشاب الذي تعاني من هذه العادة القبيحة قل: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَنِيِّي»، مع اتخاذ التدابير الأخرى، والله عزَّ وجلَّ يحميك.

وشر المنى له معنى آخر، وهو أن: بعض الناس قد يجمع زوجته فلا يحدث حمل لضعف المنى، لأنه يشترط له قوة معينة، فيقول: أعود بك من شر مني، أي: من أن يكون مني هذا غير مثمر للولد، فيسأل الله أن يحصل من منيه تلاقح مع البييضات في رحم المرأة فيحصل الولد؛ فالغاية من المنى حصول الولد، كما قال - تعالى -: ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]، أي: الولد.

إذًا قوله: «أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَنِيِّي»، أي: أعود بك من أن يخرج من مني ولد فاسد، وهذا معنى من المعاني.

هذه الحواس كلها: السمع، والبصر، واللسان، والقلب،
والمنى، إذا استقامت ووقاك الله شرها، كنت عبداً ربانياً تضمن
الجنة، وهذا ما ورد في حديث النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - (١): «مَنْ
يُضْمَنُ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنَ لَهُ الْجَنَّةَ» (٢).

اللحيان: الفك، وما بينهما: هو اللسان، وما بين الرجلين:
الفرج.

إذا ضمنت هذه الأشياء ضمن لك النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الجنة.



(١) والذي أسميه: «الضمان النبوي».

(٢) (صحيح) أخرجه البخاري برقم [٦١٠٩].

عَاطِيَةُ

إنه تعود لا يخلو بيت من شدة الاحتياج إليه، إنه مرتبط بإخواننا المرضى ذوي الآفات والعاهات، والأمراض والبلايا والأوجاع، فما من بيت إلا وفيه مريض يئنُّ، أو وَجَعٌ يشكو إلى الله وَجَعَهُ، وكثير من الناس حين تأتيهم الأمراض أو تصيبهم الآفات الجسدية يلجؤون إلى الأدوية والعلاجات المادية، وهذا مباح لا شئ فيه، لكن بعض الناس حين يأتيه المرض أو يَحِلُّ به شئ من الآفات الجسدية يُنزلُ حاجته بالله، ويرفع أكْفَ الضراعة إليه، ثم يتناول الدواء.

فالعلاج الصحيح: أن يبدأ الإنسان إذا أصابه المرض - نسأل الله العافية لنا جميعاً - بالضراعة إلى الله عَزَّجَلَّ، ثم بعد ذلك يذهب إلى الطيب، لا أن تذهب إلى الطيب ثم بعد ذلك يقول: يارب!! أنزل حاجتك بالله أولاً، ثم اذهب إلى الطيب.

عن عثمان بن أبي العاص الثقفي: أنه شكا إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وجعاً يجده في جسده منذ أسلم، فقال له رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ: بِسْمِ اللهِ - ثَلَاثًا - ، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ».

وفي رواية: «امسحْهُ بِيَمِينِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ، وَقُلْ: أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ» (١).

إنها كلمات شافية، لكنها تحتاج إلى صدق وإخلاص ويقين وتوكل على الله عَزَّجَلَّ، ولن يقول هذه الكلمات بالصدق واليقين والتوكل والإخلاص إلا المؤمن القوي، وبإذن الله عَزَّجَلَّ تنزل هذه الكلمات على الوجد فتخففه أو تمحوه، وإن كانت هناك مضاعفات لهذا الوجد فإن هذه الكلمات الشافية توقفها، وبالتالي لا يَسْتَفْحِلُ الخطرُ، ولا يَسْتَشْرِ المرضُ.

قوله: «امسحْهُ بِيَمِينِكَ»؛ لأن اليد اليمنى مباركة، وكان النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يستخدمها لما هو مبارك وطاهر.

وقوله: «ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمُ مِنْ جَسَدِكَ» أي: على المكان الذي فيه الألم، فإذا كان في يدك الشمال تضع يدك اليمنى عليه، وإذا كان في اليمنى تضع اليسرى عليه، في أي موضع تصل إليه يدك اليمنى، تضعها على موضع الألم.

وقوله: «وَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ - ثَلَاثًا -»: تضع يدك، وتُسَمِّي ثم ترفعها، تفعل ذلك ثلاث مرات، فإذا كان الألم منتشرًا فامسح

(١) (صحيح) سبق تخريجه، ص (٣٤)، هامش (٢).

بيدك عليه، فلو كان ضررًا مثلاً تضع يدك عليه من جهة الصدغ ثم تسمي ثلاثاً، ثم تقول: «أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ» سبع مرات، ترفع يدك في كل مرة، ثم تنزل بالدعاء عليها.

وهذه طريقة مهمة تُكسِبُكَ بإذن الله عَزَّوَجَلَّ قُوَّةً وَطَاقَةً وَمَنَاعَةً تواجه بها التعب الموجود وتمسحه، وتمنع المضاعفات.

وهذا التعوذ ليس مجرد كلمات تقال باللسان فقط، فقد أكدنا قبل ذلك أن الذي ينال بركة هذه التعوذات التي يعلمنا إياها النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هو المقيم للفرائض، المجتنب للكبائر، غير المُصِرِّ على الصغائر.

وقوله: «بِسْمِ اللَّهِ - ثَلَاثًا -» ونحن نعلم أن «بِسْمِ اللَّهِ» بَرَكَةٌ إِمَامِ الْعَمَلِ، وعندنا أول آية في سورة الفاتحة: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١] وقال تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١].

وقد حفظنا منذ الصغر: «كُلُّ كَلَامٍ، أَوْ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُفْتَحُ بِذِكْرِ اللَّهِ، فَهُوَ أَبْتَرُ، - أَوْ قَالَ: - أَقْطَعُ»^(١) أى: ناقص منزوع البركة، لأن اسم الله عَزَّوَجَلَّ لا يأتي على شيء إلا يكون معه النفع بإذن الله - تعالى - .

(١) (ضعيف) أخرجه أحمد برقم [٨٧١٣].

قوله: «أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ» قال: «بِعِزَّةِ اللَّهِ؛ لأن العزيز هو الذي لا يُغلب، والأطباء بَشَرٌ عِلْمُهُمْ مَحْدُودٌ، وأحياناً يذهب المريض إلى الطبيب فيَقْلِبُهُ ظَهراً لِبَطْنٍ، ثم بعد ذلك يطلب منه عمل تحاليل، ثم يطلب منه أشعة، ثم رنيناً مغناطيسياً، وربما استغرق ذلك شهراً أو أكثر، ثم يقول الطبيب بعد ذلك كله: «لا قدرة لنا على تحديد هذا المرض»، وأحياناً يغلب المرضُ الطبيبَ، فيعطي المريضُ العلاجَ ويزداد المرضُ.

أما الله عَزَّجَلَّ فلا يغلبه شيء، ولذا تقول: أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ الَّذِي لَا يُغْلَبُ مِنْ شَرِّ هَذَا الْمَرَضِ.

والله عَزَّجَلَّ هو الَّذِي خَلَقَ الْمَرَضَ وهو وحده الَّذِي يَقْدِرُ عَلَى دَفْعِهِ، وهو الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ.

وقوله: «وَقُدْرَتِهِ»؛ لأن الله عَزَّجَلَّ قَادِرٌ عَلَى تَحْوِيلِ هَذَا الْمَرَضِ إِلَى صِحَّةٍ، وَأَنْ يُحَوِّلَ الْبَلَاءَ إِلَى عَافِيَةٍ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِنَا: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ».

أما الطبيب فيعجز عن ذلك إلا بتوفيق الله عَزَّجَلَّ له، وغاية ما يستطيعه الطبيب هو إيقاف المرض وبإذن الله أيضاً، وأحياناً لا يستطيع الطبيب فِعْلَ شَيْءٍ.

وقوله: «مِنْ شَرِّ مَا أَحْدُ وَأَحَادِرُ»: فالاستعاذة بالله من أمرين:

أَمْرٍ حَاصِلٍ بِالْفِعْلِ، وَأَمْرٍ يُخَافُ أَنْ يَقَعَ.

فالأمر الحاصل بالفعل: هو المرض الذي يُعاني منه صاحبه.

والأمر الذي يُخَافُ أَنْ يَقَعَ: هو المكروه المتوقع الذي يخافه

الإنسان.

فالمرضى يخاف أن يستفحل المرض وينتشر في الجسم، فلذلك

يستعيذ بالله تعالى مما يجذره.

إن الصحابي الجليل عثمان بن أبي العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لما قرأ هذه

الرقية على وجعه ذهب عنه وجعه؛ لِيَقِينَهُ الَّذِي لَوْ نَزَلَ عَلَى جَبَلٍ لَدَكَّهُ،

إنه يقينٌ لو واجهنا به أي صعوبة لكانت سهلة بإذن الله عَزَّوَجَلَّ.

وكان عثمان بن أبي العاص إذا مرض أحدٌ من أهله يُعلمه هذا

الدعاء الذي عَلَّمَهُ إِيَّاهُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فإذا كان

ولذلك أو المريض لا يستطيع أن يقول هذا الكلام، فتوضأ أنت ثم

أنته وقل: «بِسْمِ اللَّهِ - ثَلَاثًا -»، وقل: «أُعِيدُكَ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ

شَرِّ مَا تَجِدُ وَتُحَادِرُ - سَبْعَ مَرَّاتٍ -».

وليس معنى ذلك ترك التداوى عند الأطباء، فقد عَلَّمَنَا النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - علاجين: أحدهما علاج روحى، والآخر علاج بدنى.

وهذا الحديث علاج روحى، وهو الذي ينبغي أن يُقَدَّمَ بأن يلجأ المريض إلى الله تعالى أولاً.

والذي ينبغي للطبيب حينما يأتيه المريض قبل أن يضع السَّمْعَةَ في أذنيه متهيئاً لفحصه والكشف عليه: أن يضع يده على الموضع الذي يؤلم المريض، ويقول: «بِسْمِ اللَّهِ - ثَلَاثًا -»، ويقول: «أُعِيدُكَ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا تَجِدُ وَتُحَاذِرُ - سَبْعَ مَرَّاتٍ -».

ثم بعد ذلك يبدأ بالكشف، ثم كتابة العلاج المناسب، وقد قال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «تَدَاوَوْا، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يُنْزِلْ دَاءً، إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً، عِلْمُهُ مَنْ عِلْمَهُ، وَجِهَلُهُ مَنْ جِهَلُهُ»^(١).

ثم أختتم برقية جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ: فعن أبي سعيد أن جبريل أتى النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال: «يَا مُحَمَّدُ أَشْتَكَيْتَ؟» فقال: «نَعَمْ». قال: «بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ، أَوْ عَيْنٍ حَاسِدٍ، اللَّهُ يَشْفِيكَ، بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ»^(٢).

(١) (صحيح) أخرجه أحمد برقم [١٨٤٥٦].

(٢) (صحيح) سبق تخريجه، ص (٣٥)، هامش (١).

· â â â

إنها تعوذات كان النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يدعو بها،
وَنَقَلَهَا عَنْهُ أَكْثَرُ مَنْ صَحَابِي، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ حَرِيصًا عَلَيْهَا فِي أَكْثَرِ مَنْ مَوْطِنَ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ
الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ: أَبُو هُرَيْرَةَ، وَأَنْسُ بْنُ مَالِكٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو
ابن العاص، وزيد بن أرقم.

وقد نَقَلَ إلينا كُلُّ واحدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ مَا شَاهَدَهُ
وَسَمِعَهُ مِنَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وَمِنْ ذَلِكَ:

عن أبي هريرة، قال: كان رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -،
يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْأَرْبَعِ: مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ
لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ»^(١).

وفي رواية أنس أن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كان يقول:
«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَوْلٍ لَا يُسْمَعُ، وَعَمَلٍ لَا يُرْفَعُ، وَقَلْبٍ لَا
يَخْشَعُ، وَعِلْمٍ لَا يَنْفَعُ»^(٢).

(١) (صحيح) سبق تخريجه، ص (٣٥)، هامش (٢).

(٢) (صحيح) سبق تخريجه، ص (٣٥)، هامش (٣).

ذكر النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ستة أمور، وبين أن كل واحد منها له غاية وهدف وثمره، فإذا لم تُؤْتِ ثمرتها المرجوة فهي شؤم على صاحبها.

قوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْأَزْيَعِ: مَنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ»، يفيد أنه إذا لم ينتفع العالم بعلمه كان وبالاً عليه.

وقوله: «وَمَنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ»، يفيد أن غاية القلب وهدفه والثمرة المترتبة على أعماله أن يخشع، إذا فالقلب الذي لا يخشع قلب ميت، ووبالاً على صاحبه.

وقوله: «وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ»، يفيد أن غاية النفس في الشبع أي: القناعة، والنفس التي لا تشبع تُهلك صاحبها.

وقوله: «وَمِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ»، يفيد أن غاية الدعاء أن يستجاب لك، فإذا لم يُستجب الدعاء بأية صورة من صور الاستجابة؛ دَلَّ ذلك على أن صاحبه مَبْغُوضٌ عند الله - تعالى - .

وقوله: «وَعَمَلٍ لَا يُرْفَعُ»، يفيد أن غاية العمل وثمرته أن يرفع إلى الله - تعالى - ، ومعنى ذلك أن يتقبله، والعمل الذي لا يُرْفَع يدل على حُبْثِ صاحبه.

وقوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَوْلٍ لَا يُسْمَعُ»، يعني أن هناك دعاءً لا يُسْمَعُ، وقولاً لا يُسْمَعُ، وغاية القول أن يُسْمَعُ له، فأحياناً يتكلم الإنسان فينصرف الناس عنه ولا يستمعون إليه، فيكون موقفه النفسي سيئاً للغاية.

وهذه الأمور الستة التي دعا بها النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حاصلةٌ له كلها؛ مِنْ نَفْعِ الْعِلْمِ، وخشوع القلب... إلخ، وإنما تَعَوَّذَ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا تَعْلِيمًا لَنَا.

والعلم النافع: قد قال عنه النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :
«سَلُوا اللَّهَ عِلْمًا نَافِعًا، وَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ»^(١).

ونحن نقول في دعائنا: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا»^(٢).

والعلم الذي لا ينفَعُ: هو العلم الذي لا يُعْمَلُ بِهِ، فترى الواحد من الناس يصلي كما رأى أباه يصلي، تقليدًا من غير علم ولا فقه بالصلاة، فنقول لمثل هؤلاء المقلِّدين: هل تعلمت الصلاة؟ إذا لا بد أن تتعلم علمًا ينفَعُ، وتجالس عالمًا يعلمك أركان الصلاة،

(١) (صحيح) أخرجه ابن ماجة برقم [٣٨٤٣].

(٢) (حسن) أخرجه أحمد برقمي [٢٦٦٠٢، ٢٦٧٣١].

وواجباتها، ومكراهاتها، ومبطلاتها، فتصلي وأنت تعلم صلاتك من أولها إلى آخرها، وتصلي صلاة النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من التكبير إلى التسليم كأنك تراها.

وما أقبح أن نقول: كافل اليتيم في الجنة. ثم لا نكفله مع القدرة على كفالاته! فهذا علم لا ينفع بل هو ضرر على صاحبه. إِذَا فَكُلَّ عِلْمٍ لَا يُعْمَلُ بِهِ فَهُوَ عِلْمٌ لَا يَنْفَعُ.

أو أن العلم الذي لا ينفع: هو العلم الذي لا تحصل بركته في القلب، لأن المرجو من العلم أن ينزل على قلبك فينبت العبادات القلبية؛ كاليقين، والخشوع، والضراعة، والحب، والصدق... إلخ. إِذَا فَالْعِلْمُ الَّذِي لَا يَنْفَعُ هُوَ الْعِلْمُ الَّذِي لَا يُثْمَرُ بَرَكَةً فِي الْقَلْبِ.

أو أنه العلم الذي لا يُغَيِّرُ ولا يُبَدِّلُ أَخْلَاقَ صَاحِبِهِ وَأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ إِلَى الْأَحْسَنِ.

أو أنه العلم الذي يُدْمِرُ ولا يُعْمَرُ، الذي يهدم ولا يبني، مثل الذي يصنع المتفجرات لإيذاء الناس بها، أو العلم العبثي، مثل من يدعو إلى الاستنساخ غير المنضبط بالقواعد والأخلاق.

أو أنه العلم الباطل كالسحر، أو ما يسمى بالرقص الشرقي.
 إِذَا فُلْتَسَأَلَ اللهُ أَنْ يَرْزُقَكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَتَعَوَّذَ بِهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ،
 وَكُلِّ عِلْمٍ لَا يَقْرِبُكَ مِنَ اللهِ وَلَا يَرْغِبُكَ فِي الْخَيْرِ فَإِنَّهُ عِلْمٌ غَيْرُ نَافِعٍ.

قوله: «وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ»، الخشوع: طمأنينة في القلب وإخبات،
 فكلمها قرأت آية؛ نزلت على قلبك بردًا وسكينته وسلامًا حتى يلين
 قلبك، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ
 وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

وقال عَرَجَلٌ: ﴿اللهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِنْبًا مُتَشَبِهًا مَثَانِي
 نَقْشَعِرٍ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ
 ذِكْرِ اللهِ ذَلِكَ هُدَى اللهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ
 مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

وقال عَرَجَلٌ: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا
 بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

فالقلب الذي يخشع ويتأثر بالآيات ويطمئن بالله عَرَجَلٌ هو
 هذا القلب الذي يكون صاحبه من أحسن الناس يوم القيامة قال
 اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللهُ بِقَلْبٍ

سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

فتستعيد بقولك: «وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ»؛ لأن القلب القاسي بعيد من الله، لا يتأثر بالشرع؛ لا بالقرآن الكريم، ولا بكلام النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وهذا القلب القاسي غير الخاشع يتكبر على الشريعة فلا يرغب في شيء حسن، ولا ينفر من شيء قبيح، وفي دعاء النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا، وَلسَانًا صَادِقًا» (١).

قوله: «وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ»، هذا يشمل شيئين: النفس الحريصة على المال وجمعه من كل سبيل وبأية وسيلة، فلا تشبع منه، «لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وَادِيًا مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَادِيَانِ» (٢).

إن القانع يكتفي بالحلال، أما غير القانع فإنه يجمع المال من الحلال ومن الحرام، وقد قال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «وَكُنْ قَنِعًا تَكُنْ أَشْكَرَ النَّاسِ» (٣)، وقال: «وَأَرْضٌ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ» (٤).

(١) (حسن) سبق تخريجه، ص (٤٦)، هامش (٣).

(٢) (صحيح) أخرجه البخاري برقم [٦٤٣٩]، وأحمد برقم [١٣٤٧٦].

(٣) (حسن) أخرجه ابن ماجه برقم [٤٢١٧].

(٤) (حسن) أخرجه أحمد برقم [٨٠٩٥].

إن النفس التي لا تشبع لا ترضى بما قسم الله لها، بل تتبطر على نعمة الله وترفضها، والنفس التي لا تشبع تحسد الآخرين وتستكثر عليهم نعمة الله - تعالى - .

قوله: «وَمِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ»، أي: أعوذ بالله أن أرفع يديَّ بالدعاء ثم لا يستجاب لي، وحينئذ فلا بد أن يبحث المرء عن أسباب عدم إجابة دعائه، فربما كان قاطعاً للرحم، فإنه لا يُستجاب دعاؤه، والمعنى: اللهم احميني من الأسباب التي تمنع استجابة دعائي.

وكذلك الزوجة العاصية لزوجها لا يستجاب دعاؤها.

وكذلك المشاحنان أكثر من ثلاثة أيام، فمن خاصم أخاه أكثر من ثلاث فقد فَجَرَ.

قوله: «وَعَمَلٍ لَا يُرْفَعُ»، من الأعمال الصالحة كالصلاة والزكاة والصيام والحج.

وغاية العمل أن يتقبله الله عَزَّوَجَلَّ، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾. [فاطر: ١٠].

ومن أمثلة العمل الذي لا يُرفع: مَنْ أُمَّ قَوْمًا وهم له كارهون، كالمدخن مثلاً (السجائر - الشيشة)، أو المبتدع أو الفاسق، الذي

يُقَدِّمُ نَفْسَهُ لِلْإِمَامَةِ وَالنَّاسِ كَارِهَةً لِإِمَامَتِهِ، فَهَذَا لَا تُرْفَعُ صَلَاتُهُ فَوْقَ رَأْسِهِ.

وَالْأَعْمَالُ تُعْرَضُ عَلَى اللَّهِ عَزَّجَلَّ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ أَمَا الْمُتَشَاحِنَانِ فَلَا يُعْرَضُ عَمَلُهُمَا وَلَا يَرْفَعُ، وَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: «أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا»^(١)، فَلَا بَدَّ مِنَ الْمُبَادَرَةِ بِالصَّلْحِ، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجَرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ»^(٢).

وقوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَوْلٍ لَا يُسْمَعُ»، أي: إذا قلت للناس قولاً استمعوا له، أو إذا شفعتُ عندهم شفاعَةً قبلوا شفاعتي.



(١) (صحيح) أخرجه مسلم برقم [٢٥٦٥]، وأبو داود برقم [٤٩١٦]، وأحمد برقمي [٩٠٥٣، ١٠٠٠٦].

(٢) (متفق عليه) أخرجه البخاري [٦٠٧٧، ٦٢٣٧]، ومسلم [٢٥٦٠].

تَعَالَى

إننا نتعلم من رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هذه التحصينات المباركات، والتعوذات النبويات، لنأمن شر الدنيا، ونأمن ما في الآخرة من سوء الحساب.

نحن نعيش جميعاً في نعم الله تعالى، ونحيا في فضله، ومن أجل ما أنعم الله به علينا نعمة الإسلام، وكفى بها نعمة، ونحن نسأل الله عَزَّجَلَّ دائماً هذا السؤال ونقول: اللهم أحينا مسلمين، وأميتنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين.

ونعم الله تعالى كثيرة لا تُعد ولا تحصى، وأعلاها: الإسلام، والأمن، والصحة، والستر، والرزق الواسع، ورغد العيش، والزوج الصالح، والأولاد، وهذه النعم كلها على اختلاف درجاتها، نحياها ونعيشها فضلاً من الله عَزَّجَلَّ ونفرح بها، ومن منا لا يفرح بنعمة الله - تعالى -؟ من منا لا يرجو أن يحيا في نعم الله ليلاً ونهاراً، سرّاً وجهاراً إلى أن يلقي الله عَزَّجَلَّ؟

إننا لنفرح بنعم الله - تعالى - ونشكره عليها بالليل والنهار:

﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾

نحن نفرح بنعم الله، لكن مع هذا الفرح ينبغي أن يحذر العبد المؤمن التقى التواب الأواب الذي يخاف ربه، ينبغي أن يحذر من زوال النعمة، وتحوُّل العافية، وفجاءة النعمة، ينبغي أن يحذر العبد الذي يرتع في نعم الله - تعالى - من سخط ربه ومولاه، هذا هو موضوع تعويدتنا، كيف نُؤمِّنُ النِّعم؟

إننا نُؤمِّنُ على مستقبل أولادنا بالعمل الصالح، قال - تعالى -:

﴿ وَليَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِن خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعْفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [النساء: ٩].

وأيضاً نُؤمِّنُ تأميناً مشرعاً على أولادنا وعلى أهلينا من بعدنا، وهذا التأمين أن نعمل ونجد في الحياة ونجمع من خيراتها ما أحل الله - تعالى - وأباح، ونترك لأولادنا ما يكفيهم من بعدنا كما قال النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «إِنَّكَ أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدْعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّضُونَ النَّاسَ»^(١).

لكن مَنْ مِنَّا يأمن دوام النعمة واستمرارها؟ مَنْ مِنَّا يأمن بقاء العافية؟ مَنْ مِنَّا يأمن على نفسه أن لا تقع فيما يسخط الله عزَّجَلَّ ويغضبه؟

(١) (متفق عليه) أخرجه البخاري [٢٥٩١]، ومسلم [١٦٢٨]، والترمذي [٢١١٦]، والنسائي [٣٦٢٧، ٣٦٢٨]، وأحمد [١٤٨٨].

ألا أدلك على حصن حصين، وملاذٍ أمين، وركن ركين، يُثبت نعمتك، ويحفظ عافيتك، ويقيك ويحميك من سخط الله عَزَّجَلَّ ويدفع عنك بأسه ونقمته؟

روى الإمام مسلم عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ» (١).

النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - آمِنٌ مِنْ زَوَالِ النِّعْمَةِ، بَلْ هُوَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نَفْسُهُ نِعْمَةٌ، فَكَيْفَ يَخَافُ مِنْ زَوَالِ النِّعْمَةِ؟!

قال الله عَزَّجَلَّ في سورة التكاثر: ﴿ ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ [التكاثر: ٨]، والنعيم: الإسلام، والصحة، والعافية، والرزق؛ والنعيم: النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .

كيف نحصن النعمة من الزوال، والعافية من التحول؟ كيف نأمن فجأة النعمة وسخط الله عَزَّجَلَّ؟

بأن نواظب على هذا التعوذ، راجين في الله تمام الرجاء، واثقين فيه الثقة المطلقة.

(١) (صحيح) تقدّم تخريجه ص (٣٥)، هامش (٤).

وقوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ»، أول نعمة يتفكر فيها المسلم ويسأل الله عَزَّجَلَّ أَنْ يَحْفَظَهَا عَلَيْهِ: الإسلام؛ إذ ليس ثمة نعمة أكبر منها، وقرأ إن شئت هذه الآية التي نزلت على النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قبل موته بثمانين يوماً في يوم عرفة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فانظر كيف رضيك الله تعالى للإسلام، ورضي الإسلام لك، وهذه نعمة كبيرة.

ومن الناس من يبيع دينه وَيَقْرُطُ فِي هَذِهِ النِّعْمَةِ، وَهَمَّ أَعْدَادٌ قَلِيلَةٌ جَدًّا!!!

فالذي يخالط قلبه بشاشة الإسلام وصدق الإيمان، لا يرتدُّ أبداً، لكن لا بد لنا من الخوف؛ فنقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ»، أي: الإسلام، فتسأل الله عَزَّجَلَّ أَنْ يَثْبِتَكَ عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ، وَيَحْيِيكَ عَلَيْهِ، وَكَانَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «يَا مُثَبِّتَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ»، وفي لفظ: «ثَبِّتْ قَلْبِي» (١).

(١) (صحيح) أخرجه ابن ماجة برقم [١٩٩]، وعبد الرزاق في «المصنف» برقم [٢٩١٩٦].

قوله: «أَوْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ»، أي: النعم الكثيرة التي أنعم الله بها علينا، قال الله تعالى: ﴿وَأَتَانَكُمْ مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، فما من نعمة دَقَّتْ أو جَلَّتْ إلا وهي مُعَرَّضَةٌ للزوال، وهذه النعم ظاهرة وباطنة، ويكفيك من النعم الباطنة: الأمانُ النفسي، والطمأنينة، وسكون القلب، وراحة البال، والهدوء، وإذا أردت معرفة قيمة هذه النعمة؛ فَسَلْ من لا يستطيع النوم ويتقلب من جنبٍ إلى جنب!!

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان: ٢٠].

فمعنى قوله: «أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ»: أن العبد يستعيذ بالله من الوقوع في الأسباب التي تستدعي زوال النعمة، مثل المعاصي؛ فإنها تزيل النعم، وكذلك ترك الشكر؛ يُزيل النعم، قال الله - تعالى -: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

وكان عمر بن عبد العزيز - رَحِمَهُ اللَّهُ - إذا قلب بصره في نعمة أنعم الله بها عليه؛ يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَبَدَلَ نِعْمَتِكَ كُفْرًا،

وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَكْفُرَ نِعْمَتَكَ بَعْدَ مَعْرِفَتِهَا، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَنْسَى نِعْمَتَكَ
وَلَا أَتُنْبِي عَلَيْكَ بِهَا».

إن بعض الناس من يكفر نعمة الله عليه، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨]،
ونعمة الله: فطرة الله التي فطر الناس عليها، وهي دين الإسلام،
بدلوا كُفْرًا، أو استخدموا نعمة الله في الكفر والطغيان.

وقوله: «وَتَحَوَّلَ عَافِيَتِكَ»، العافية: الصحة.

والمعنى: يا رب أبقِ صحتي، ولا تُحوِّلها عني، أي: لا تنقلها
من حال جيدة إلى حال سيئة.

فالعافية: سلامة سمعك وبصرك، وأعضاء جسدك، وصحتك.
وقد تتحول الصحة إلى المرض، أو الغنى إلى الفقر، أو القوة إلى
الضعف، وإذا حَدَثَ شيءٌ من ذلك فإن الإنسان لا يستطيع عبادة
الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فلذلك نستعيد بالله من حَوُّهَا.

وكان من دعاء النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «اللَّهُمَّ إِنِّي
أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعِضْوَ وَالْعَافِيَةَ
فِي دِينِي وَدُنْيَايَ...» (١).

(١) (صحيح) أخرجه أبو داود برقم [٥٠٧٤]، وابن ماجه برقم [٣٨٧١]،
وأحمد برقم [٤٧٨٥].

وهناك فرق بين العفو والعافية والمعافاة: فالعفو يعني: عن الذنوب. والعافية: الصحة في البدن، والقوة في الجسم. والمعافاة: العيش مع الناس في سلام.

وكان - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: «اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَدَنِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَصَرِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» (١).

ومن هذا قوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تَهْوُونَ بِهِ عَلَيْنَا مِصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتَّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا» (٢).

أي: متّعنا بالصحة والعافية ما دُمنا أحياء.

وقوله: «وَفُجَاءَةً نِقْمَتِكَ»، وفجاءة النقمة أي: غضب الله عَزَّجَلَّ عَلَى مَنْ عَصَى أَمْرَهُ.

إن الإنسان يمكنه أن يتوب من الأسباب الجالبة للنقمة، فأما إذا جاءت النقمة فجأة؛ فلا توبة، وهذا هو أخذ العزيز المقتدر،

(١) (حسن) أخرجه أبو داود برقم [٥٠٩٠]، وأحمد برقم [٢٠٤٣٠].

(٢) (حسن) أخرجه الترمذي برقم [٣٥٠٢].

قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿ وَكَذَلِكَ أَخَذُ رَبِّيكَ إِذَا أَخَذَ الْفَرِيَّ وَهِيَ ظَلِيمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٢]، وقال عَزَّجَلَّ عَمَّنْ عَتَى وَبَغَى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا ﴾، انشغلوا بالدنيا، ونسوا معاصيهم، ولم يفكروا في غضب الجبار، ﴿ أَخَذْنَاهُمْ بَعْتَهُ فَاذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٢-٤٤].

وقوله: «وَجَمِيعِ سَخَطِكَ»، أي: من جميع معاصيك؛ كالتفريط في المسئولية، والابتعاد عن الله عَزَّجَلَّ، أو ترك الصلاة، أو عُقوق الوالدين ... إلخ.



ä äâ · âäã â

هذا التعوذ نعيشه على مدار الساعة، وهو ظاهر جدًا في زماننا، وكان هذا الأمر المتعوذ منه قليلًا أيام النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وهو ما أسميته: «التَّعَوُّذُ مِنَ الْمَهَالِكِ».

عن أبي اليسر كعب بن عمرو قال: كان رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرْدِي، وَالْهَدْمِ، وَالْغَرَقِ، وَالْحَرِيقِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ فِي سَبِيلِكَ مُدْبِرًا، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ لَدِيغًا» (١).

قوله: «التَّرْدِي»: السقوط من فوق جبل، ومنه قول النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في الانتحار: «وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا» (٢).

ومن الترددي: السقوط من على سطح، أو سقوط المصعد بمن فيه، أو السقوط من شُرْفَةٍ، أو من على قنطرة (كوبري)، فالتردي الوقوع من مكان عالٍ، أو السقوط في حفرة، وكم من ماشٍ سقط في حفرة ولا يُدرى أين ذهب!

(١) (صحيح) تقدم تخريجه، ص (٣٦)، هامش (١).

(٢) (صحيح) أخرجه مسلم برقم [١٠٩]، والترمذي برقم [٢٠٤٤]، وأحمد برقمي [٧٤٤٨، ١٠١٩٥].

ومن التردّي: الانتكاسة والرجوع إلى الوراء، فيتأخر بعد التقدم واتخاذ خطوات في أعماله نحو الرُقْيَى، فأنت تستعيد بالله من التردّي الحسّي والمعنوي، وتنوي النيّتين.

وقوله: «وَالهَدْمِ»: فما من سنة تمرّ إلا وأكثر من عشرِ عمائر سكنية تَسْقُطُ، وهذا في مصر وحدها، فضلاً عن غيرها من البلدان، فالمعنى: أعوذ بك أن يقع عليّ البناء الذي أسكن فيه، أو أن يسقط عليّ الجدار الذي أستظل به في طريقي.

أو أن المعنى: هدمُ بناء الغير بدون تحرّ أو حكم قضاء، وهذا هو الهدم المادّي.

أو أن المقصود: الهدم المعنوي، وهو هدم أعمال الآخرين، فيأتي الهادم على عمَلٍ غَيْرِهِ فَيَقْلُلُ من شأنه وَيُصَغِّرُهُ عند النَّاسِ.

وهؤلاء الناس الذين قتلوا تحت هذا الهدم لو كانوا يواظبون على هذا التعوّذ؛ ما وقعت عليهم العمارة، ولو وقعت رغم تعوّذهم فقد وقعت لحكمة يعلمها الله تعالى، لكنه -أي: التعوّذ- يُنجيهم؛ فقد يكونوا بالخارج فتقع العمارة ولا يُصابون هم بسوء.

وقوله: «وَالغَرَقِ»، أي: في الماء، ولا زالت الوجيعة موجودة في قلوبنا نتيجة الحادثة المشتهرة، وهي غَرَقُ العبارة (عبارة السلام)،

وَكُلُّ سَنَةٍ تَغْرُقُ عَبَّارَةً، وَيَغْرُقُ أُلُوفٌ مِنَ النَّاسِ، فَحِينَمَا تَرِيدُ رُكُوبَ السُّفْنِ قَلَّ هَذَا الدَّعَاءُ، بَلْ قَلُّهُ فِي حَمَّامِ السَّبَّاحَةِ، فَرُبَّمَا يَغْرُقُ الْإِنْسَانُ فِيهِ، وَقَدْ وَقَعَ ذَلِكَ كَثِيرًا.

وقوله: «وَالْحَرِيقِ»، أي: أن أموت محروقًا؛ لأن الحريق يُشَوِّهُ الْإِنْسَانَ، وَكُلَّ فِتْرَةٍ يَسْمَعُ النَّاسُ عَنْ حَوَادِثِ الْحَرِيقِ فِي الْمَصَانِعِ وَالْبُيُوتِ.

وقوله: «وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ»؛ أي: يضلني عند الموت، فالعبد الذي يلازم الاستقامة لا ييأس منه الشيطان، بل يسعى لإضلاله بكل سبيل، ويستغل كل لحظة يمكنه فيها إضلاله، ومن هذه اللحظات: لحظة الموت، حيث يكون الإنسان ضعيفًا مسلوب القوة، تُسَلَبُ مِنْهُ الرُّوحُ، وَتَنْهَارُ قُوَّتُهُ؛ فَيَقِفُ الشَّيْطَانُ عَلَّ رَأْسِهِ، وَيُخْبِرُ أَتْبَاعَهُ الْأَبْلَسَةَ أَنَّهُمْ إِنْ لَمْ يَدْرِكُوهُ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ فَاتَهُمْ!! فَيَقْفُونَ عَنْ يَمِينِهِ وَيَسَارِهِ، وَيَقُولُونَ: مَتَّ يَهُودِيًّا، فَالْيَهُودِيَّةُ خَيْرُ دِينٍ!! مَتَّ نَصْرَانِيًّا فَالنَّصْرَانِيَّةُ خَيْرُ دِينٍ!!

عن صالح بن الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ قَالَ: حِينَ احْتَضَرَ أَبِي جَعَلَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: لَا، بَعْدُ! لَا، بَعْدُ! فَقُلْتُ: يَا أَبَتِ، مَا هَذِهِ الْكَلِمَةُ الَّتِي تَلْهَجُ بِهَا فِي هَذِهِ السَّاعَةِ؟ فَقَالَ: يَا بَنِي! إِنْ إِبْلِيسُ وَاقَفَ فِي زَاوِيَةِ الْبَيْتِ وَهُوَ عَاضٌ عَلَيَّ إِصْبَعَهُ، يَقُولُ: فُتَّنِي يَا أَحْمَدُ!!

وَتَخَبُّطُ الشَّيْطَانِ بِالْإِنْسَانِ عِنْدَ الْمَوْتِ أَنْ يَأْتِيَهُ فَيُقَنِّطُهُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَمَنْ قَبُولِ تَوْبَتِهِ، وَاللَّهُ -تَعَالَى- يَقُولُ مَبْشَرًا عِبَادَهُ التَّائِبِينَ: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا فَعَلْتُمْ ﴾ [الشورى: ٢٥].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ . [الزمر: ٥٣].

وقوله: «وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ فِي سَبِيلِكَ مُدْبِرًا»، أي: هاربًا من القتال في سبيلك، ومواجهة العدو، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْآدْبَارَ ۗ ﴾ (١٥) وَمَنْ يُؤَلِّمَهُمْ يَوْمِئِذٍ دُبْرَهُ، إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقُنَالٍ أَوْ مُتَحَرِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [الأنفال: ١٥-١٦].

أو أن المعنى: أن يتعوذ من أعطاه الله لسانًا متكلمًا، وقدرةً على دعوة الناس من أن يتخلى عن الدَّعوة، أو البُعدِ عنها، فهذا من التَّوَلَّى من ساحة الجهاد الدَّعوي، فنحن نحتاج في زماننا إلى دعاة كثيرين، فاحذر البُعدَ عن الدَّعوة.

وقوله: «وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ لُدِيغًا»، أي: أن تنهشني حيَّةً، أو يلدغني عقربٌ أو ثعبان، وهذا في الريف والبادية، ولكن ليس عندنا

في المدن حَيَّاتٍ أو عَقَّارِبٍ ونحو ذلك، واللَّدَغُ معناه: الموت بالسُّمِّ، فَقُلُّهَا وَأَنْتِ تَشْتَرِي البَطِيخَ، أو التَّفَاحَ، أو أَيَّ طَعَامٍ مِنَ السُّوقِ؛ لِأَنَّ مِنَ لَا يَتَّقِي اللَّهَ مِنَ المَزَارِعِينَ يَضَعُونَ عَلَى الشَّارِ هَرْمُونَاتٍ مَسْرُطَنَةٍ فِي مَزَارِعِهِمْ، فَقُلْ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ لَدِيغًا»، أَي: يَارَبَّ لَا تُؤْذِنِي الأَطْعَمَةَ والأَغْذِيَةَ المَسْرُطَنَةَ؛ فَيَحْمِيكَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ مِنْهَا.



ã ä æ â ã æ

إِنَّ هَذَا التَّعْوِذَ الْبَكْرِيَّ الصَّدِيقِيَّ نَسَبَهُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وَأَوَّلَ الْعَشْرَةِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ، قَالَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ»^(١)، وَأَرَأَفَ أُمَّةٍ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِأُمَّةٍ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، كَمَا قَالَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «أَزَحَمَ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ»^(٢)، وَقَالَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا، لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا»^(٣)، وَالَّذِي قَالَ عَنْهُ رَبُّ الْعِزَّةِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ثَانِيًا أَتَيْنَ إِذْ هُمَا فِي الْفَكَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعْنَا فَاَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: ٤٠]، فَهَلْ نَزَلَتِ السَّكِينَةُ عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؟

-
- (١) (صحيح) أخرجه ابن أبي شيبة (١٢/١٢-١٣) [٣٢٦٠٩]، و(١٢/١٥) [٣٢٦١٦]، وأحمد (٣/١٧٤-١٧٥) [١٦٣٠]، وأبو داود (٤/٣٤٤) [٤٦٥٢]، والترمذي (٥/٦٤٨) [٣٧٤٨]، وابن ماجه (١/٤٨) [١٣٣].
- (٢) (صحيح) أخرجه وأحمد (٣/٢٨١) رقم [١٤٠٢٢]، والترمذي (٥/٦٦٥) رقم [٣٧٩١]، وقال: «حسن صحيح»، والنسائي في «الكبرى» (٥/٦٧) رقم [٨٢٤٢]، وابن ماجه (١/٥٥) رقم [١٥٤].
- (٣) (متفق عليه) أخرجه البخاري (٣/١٣٣٧) رقم [٣٤٥٤]، ومسلم (٧/١٠٨) رقم [٦٣٢٠].

وَسَلَّمَ - أم على أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؟! تفسيران: نزلت على رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، ونزلت على أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وهذا أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يحرص على أن يتعلم؛ فقد روى الإمام أبو داود والترمذي والنسائي وغيرهما عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن أبا بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: يا رسول الله، مُرِنِي بِكَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ، وَفِي رِوَايَةٍ: عَلَّمَنِي كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ إِذَا أَصْبَحْتُ، فَقَالَ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «قُلْ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، رَبِّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّكَه، وَأَنْ أَقْتَرِفَ عَلَى نَفْسِي سُوءًا أَوْ أُجْرَهُ إِلَى مُسْلِمٍ».

قَالَ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «قُلْهَا إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ»^(١)، أي: بعد صلاة الصبح حتى طلوع الشمس، وبعد صلاة العصر حتى الغروب، وعند النوم حين تأتي مضجعك.

فانظر إلى أبي بكر وهو يحرص على أن يتعلم، ولم يغتر بمنزلته

عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى!!

(١) (صحيح) تقدّم تحريجه، ص (٣٦)، هامش (٢).

لم يقل إنه قد وُصِفَ في القرآن الكريم بأنه ثاني اثنين، أو أنه الصديق المبشر بالجنة، أو بقول النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «اثْبُتْ أَحَدُ؛ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ»^(١)، إذ بعض الناس يغتر بصلاته ركعتين ويفرح، وكأنه قد ملك مفاتيح الجنة، فإذا صام رمضان اعتقد أن له مائة درجة في الجنة، فلا بد لمثل هذا المغتر أن ينتبه، فالمسلم يعبد ربه عَزَّجَلَّ بالرجاء، ولكن لا بد له من الخوف، فهما - الخوف والرجاء - للمؤمن كالجناحين للطائر، فالمؤمن يرجو أن يتقبل الله منه، ويخاف أن يُرَدَّ عمله.

وفائدة هذا التَّعَوُّذِ: أنه يُؤمِّنُ المرءَ شر نفسه وشر الشيطان، فكأن هذا التعوذ تحصين للعبد من مصدر الشر في العالم: النفس الأمارة بالسوء، والشيطان الخبيث.

وهذا الشر الذي ينبعث من النفس، أو من الشيطان؛ إما أن يؤذيك، أو يؤذي غيرك، فأنت تحتمي بالله عَزَّجَلَّ من شيئين هما مصدر الشر في العالم: النفس الأمارة بالسوء، والشيطان الخبيث.

وتطلب منه عَزَّجَلَّ أن يحميك وإخوانك جميعاً من نفسك ومن الشيطان، فالمسلم لا يبحث عن الحماية لنفسه فقط، بل يبحث عنها لنفسه ولإخوانه، فإياك أن تنسى إخوانك!

(١) (صحيح) أخرجه البخاري برقم [٣٤٧٢]، والترمذي برقم [٣٦٩٧].

فأنت لا تقول: «إياك أعبد وإياك أستعين، اهديني الصراط المستقيم»، ولو فعلت ذلك لكانت صلاتك باطلة، ولكنك محرفاً للقرآن، وإنما تقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ٥ أهدنا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿ [الفاتحة: ٥-٦].

إنك تسأل الله - تعالى - بلسانك ولسان إخوتك المؤمنين، فحينما تسأل الله أن يحيمك من نفسك وشيطانك، فاسأل لإخوانك المسلمين كذلك، وهذا الحديث يُعَلِّمُنَا ذلك، فتعودوا بالله من شر نفوسكم الأمارة بالسوء، ومن شر الشيطان الواصل إليكم، أو إلى غيركم؛ لأنه: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»^(١) أى: ويكره له ما يكره لنفسه.

قوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»، أى: خالق السماوات والأرض على غير مثال سابق، ولن يستطيع أحد أن يخلق مثلها، فهو الذي تفرَّد بالخلق سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، قال عَزَّجَلَّ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١]، وقال عَزَّجَلَّ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر: ١].

(١) (صحيح) أخرجه البخاري [١٣]، والترمذي [٢٥١٥]، والنسائي [٥٠٣٩، ٥٠١٧، ٥٠١٦]، وابن ماجه [٦٦]، وأحمد [١٣٩٦٣].

قوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ»،
الغيب: هو كل ما خفي عنك. والشهادة: ما تراه وتشاهده.

قوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ»،
«ملك» مبالغة من «ملك»، مثل قدير، وقادر.

فالرب: هو الذي يوالي على عباده النعم، ويريبهم بها، ويتكفل
بأرزاقهم وأخلاقهم.

والمليك: هو الذي يتصرف في كل شيء.

فقد يكون الإنسان ساقياً ومُطْعِماً، لكنه لا يمكنه أن يتصرف
في شؤونك، ولا أن يأمر أو ينهى فيها.

أما رب العزة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَإِنَّهُ يَكْفُلُ لَكَ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ
وكل شيء، ويأمرك وينهاك، ويتصرف فيك ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ
وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

وبذلك تكون قدمت بين يدي دعائك مدح الله عَزَّجَلَّ، والثناء
عليه بصفاته وأفعاله، متضرعاً إليه أن يحيمك من نفسك ومن
الشیطان.

قوله: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» أي: أعبدك وحدك ولا أعبد
غيرك، فأنت المعبود بحق.

وبعد هذا الثناء على الله عَزَّجَلَّ بأسمائه الحسنی وصفاته العلیا،
تَطَلَّبُ من الله عَزَّجَلَّ: «أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي».

وشر النفس: أن تقود الإنسان نفسه إلى المعاصي، وأن يُظهر ما في القلب من الأخلاق السيئة من الكِبَر على الخلق واحتقارهم، والعُجْبُ بالنفس؛ وهو نسبة العمل إلى النفس ورؤية كمالها، وهذا خطر عظيم، بل الله عَزَّجَلَّ هو الذي يُقَوِّي عبده على طاعته، فانسب العمل إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وقل: الله الذي قَوَّاني على طاعته.

عندما أُحْضِرَ عرش بلقيس إلى سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ۚ أَشْكُرَ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: ٤٠].

وها هو زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ في قصة كفالته مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ:
﴿كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرُؤُا أَنَّى لَكَ هَذَا﴾، فما كان جواب السيدة مريم الطاهرة البتول؟ ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧].

ويدخل في شر النفس: أنواع المعاصي كلها، ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: ٥٣]، فأی سوء تقع فيه كترك صلاة، أو عدم برِّ للوالدين؛ فهذا كله من شر النفس.

فقولك: «أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي»، أي: نجني من هذه الأمور السيئة التي تُفَكِّرُ فيها نفسي، وتميل نحوها.

وقد ورد أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «يَا حُصَيْنُ أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَسْلَمْتَ عَلَّمْتُكَ كَلِمَتَيْنِ تَنْفَعَانِكَ»، فلما أسلم حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَتَى النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فقال: يا رسول الله، عَلَّمْنِي الْكَلِمَتَيْنِ اللَّتَيْنِ وَعَدْتَنِي، قال: «قُلِ: اللَّهُمَّ أَهْمِنِي رُشْدِي، وَأَعِدْنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي» (١).

فقوله: «أَهْمِنِي رُشْدِي» أي: ألهمني التوفيق إلى الطاعة وألهمني جها، «وَأَعِدْنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي» يعني: أعذني من أن تنحرف نفسي نحو المعاصي.

(١) (صحيح بطرقه وشواهده) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/٣)، والترمذي برقم [٣٤٨٣]، وابن أبي عاصم برقم [٢٣٥٥]، والبزار في «مسنده» [٣٥٧٩]، والطبراني بأرقام [١٨٦، ٣٩٦، ٣٥٥١]، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ص (٤٢٣-٤٢٤)، وإسناده ضعيف. لكن ورد بسند صحيح بلفظ آخر: عن عمران بن حُصَيْنٍ أو غيره أن حُصَيْنًا أو حَصِينًا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال: يا محمد، لعبد المطلب كان خيرًا لقومه منك، كان يطعمهم الكبدَ والسَّنامَ، وأنت تنحرهم! فقال له النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ما شاء الله أن يقول. فقال له: ما تأمرني أن أقول؟ قال: «قُلِ: اللَّهُمَّ قِنِي شَرِّ نَفْسِي، وَاغْزِمِ لِي عَلَى أَرْشِدِ أَمْرِي». قال: فانطلق فأسلم الرجل. أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/٢٦٧-٢٦٨)، وأحمد (٣٣/١٩٧) رقم [١٩٩٩٢]، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» رقم [٢٣٥٤]، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» برقمي [٩٩٣، ٩٩٤]، وابن حبان رقم [٨٨٩]، والحاكم (١/٥١٠).

قوله: «وَشَرُّ الشَّيْطَانِ وَشْرِكِهِ»، قال عَزَّجَلَّ: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُذُّبٌ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

فالشيطان أعدى أعدائنا، فيجب عليك أن تتعوذ بالله من الشيطان أن يوسوس لك بمعصية الله، أو أن يوقعك في الشرك بالله، وهذا على رواية كسر الشين وسكون الراء «وَشْرِكِهِ»، أما على فتحهما: «وَشَرِكِهِ»: فيكون من الشَّرِكِ، أي: الشَّبَاكِ، وهي مصائد الشيطان؛ كالجهل، أو النساء، أو المال، وكل باب من أبواب الحرام فهو مصيدة من مصائده، فتسأل الله عَزَّجَلَّ أن يعيذك من مكر الشيطان.

والشيطان لا يكلُّ ولا يملُّ من إغواء بني آدم، قال عَزَّجَلَّ حاكياً قوله: ﴿ثُمَّ لَا يَنبَغُهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا يَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧]، وقال: ﴿قَالَ فِعْرَنُكَ لَأُعْوِبَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۗ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخَلَّصِينَ﴾ [ص: ٨٢-٨٣].

وقد اتخذ الشيطان على نفسه عهداً بإضلال بني آدم بتزيين المعاصي لهم، قال تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنْتَا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ۗ (١١٧) لَعْنَةُ اللَّهِ وَقَالَ لَا تَخْذَنَّ مِنَّ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۗ (١١٨) وَلَا ضِلَّيْنَهُمْ وَلَا مَنِينَ لَهُمْ وَلَا مَرْتَنَهُمْ فَلْيَبْتَكَنَّ ءَاذَانَكَ﴾

الْأَنْعَمِ وَالْأَمْرُ لَهُمْ فَلْيَغْيِرْتُ خَلَقَ اللَّهُ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرًا مُّبِينًا ﴿ [النساء: ١١٧-١١٩].

إن هدف الشيطان الأكبر هو إدخال الناس النار، ويكون ذلك بأحد الأمور التالية:

أولاً: بدعوتهم إلى الكفر، وتزيينه لهم؛ ولذلك تقول: «وَشَرَّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ»، وتستطيع أن تحمي نفسك من الشرك بإشهار سيف التوحيد في وجه الشيطان، بأن تقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، فلسان حال الشيطان يقول: «أَهْلَكْتُ بَنِي آدَمَ بِالذُّنُوبِ وَالْأَهْوَاءِ، وَأَهْلِكُونِي بِ- «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، والاستغفار».

ثانياً: إن لم يستطع الشيطان إيقاعك في الشرك، أوقعك في البدعة، فيجعلك تفعل شيئاً ليس من هدي النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، أو أن تزيد شيئاً في دين الله، وتنسبه إلى الدين وقد قال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» (١).

(١) (متفق عليه) أخرجه البخاري [٢٥٥٠]، ومسلم [١٧١٨]، وأبو داود [٤٦٠٦]، وابن ماجه [١٤]، وأحمد برقمي [٢٦٠٣٣، ٢٦٣٢٩].

ولذلك فإن الزاني يمكن أن يتوب، أما المبتدع فلا؛ لأن المبتدع يعتقد أنه على صواب، أمّا الزاني فيعتقد أنه على حرام، فإذا ذكّرته خاف ورجع، أما المبتدع فمناقشة الحائط أهون من مناقشته! إلا من أراد الله به خيرًا.

ثالثًا: إن لم يتمكن الشيطان من إيقاع الإنسان في البدعة، حرص على إيقاعه في الكبائر، فيزين له الزنا، ومرافقة النساء، أو الكذب، أو الغيبة، أو الكِبْر والتعالي على الناس، أو قطيعة الرحم، أو أكلِ الحرام... إلخ.

رابعًا: إن لم يتمكن الشيطان من إيقاع الإنسان في الكبائر، يوقعه في تركِ الفرائض، فإن أداها شكّكه فيها، ويوقعه في الرياء.

خامسًا: ثم يحاول الشيطان أن يبعد الإنسان عن السنن والنوافل.

سادسًا: أو أن يشغله بمفضولٍ عن فاضل، أو مهم عن أهم منه. قوله: «وَأَنْ أَقْتَرِفَ عَلَى نَفْسِي سُوءًا أَوْ أَجْرُهُ إِلَى مُسْلِمٍ»، أي: أعود بك من أن ارتكب معصية، أو أن أكون سببًا في إضلال مسلم، وهذا كالذي يدعو صاحبه إلى السيئنا، أو التي تحت صاحبته على التبرج، ومَنْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ الْمَعَاصِي، وَمَنْ يَفْسُدُ الزَّوْجَةَ عَلَى

زوجها، ويفسد الموظف على رئيسه أو شركته، قال النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «لَيْسَ مِنَّا مَنْ خَبَبَ امْرَأَةً عَلَى زَوْجِهَا، أَوْ عَبْدًا عَلَى سَيِّدِهِ» (١) ، فمن أفسد زوجة على زوجها فليس منا؛ لأنه جرَّ السوء على المسلمين، وكمن يذهب إلى مَنْ يعمل في شركة أو في مكان، يقول له بأنه سيعطيه أكثر إن ترك شركته وعمل معه، ليفسد الموظفين على شركاتهم، ويأخذهم لنفسه، فهذا يَجُرُّ السوء على المسلمين.

فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ بِمَا عَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
 أبا بكرٍ: «اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّكَهِ، وَأَنْ أَقْتَرِفَ عَلَى نَفْسِي سُوءًا أَوْ أُجْرَهُ إِلَى مُسْلِمٍ» (٢).



(١) (صحيح) أخرجه أبو داود برقم [٢١٧٥].

(٢) (صحيح) سبق تخريجه، ص (٣٦)، هامش (٢).

نعم إنها التعويذة الخاصة بسَيِّدِي شباب أهل الجنة، وكان
 أبونا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ يُعَوِّذُ بهذه التعويذة ابنه: إسماعيل وإسحاق
 عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وكان النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُعَوِّذُ بها ابنه،
 أي: حفيديه، وكان يسميها: ابنه، وهما ريجانتاه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ - .

وبعد أن تعرفنا أيها الأخوة الفضلاء على هذه الصيغة التي
 أدعوكم جميعًا للحرص عليها وتعويذ أولادكم بها صباحًا ومساءً،
 ذهابًا وإيابًا، حيثما ذهبتم وحيثما حللتم، في الصباح المبكر قبل
 الذهاب إلى المدرسة، أو المسجد، أو النادي، أو زيارة الأقارب، أو
 أي مكان، فينبغي أن يقوم الأب أو الأم بتلاوة هذه التعويذة الخاصة
 بالحسن والحسين على الأولاد جميعًا، والله عَزَّجَلَّ ينزل فيها البركة
 فتحمي لكم أولادكم.

هيا بنا - بعد أن تعرفنا على هذه الصيغة المباركة - لتتعرف على
 معناها وقد أوضحنا من قبل أن من شروط كمال الاستعاذة أن تكون
 عارفًا بمعناها، بصيرًا بفقهاها وما فيها.

فقوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «أُعِيدُكُمْ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ

التَّامَّةِ»، أي: أحسنكم، وأجيركم، وأحفظكم، وأحميكم.

قوله: «بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ»، وهي: كلمات الله مطلقاً، أو هي المعوذتان: سورتا الفلق والناس.

وقد سبق بيان ما يتعلق بهما من قبل في التعوذات القرآنية، وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَتَعَوَّذُ مِنْ عَيْنِ الْجَانِّ، وَمِنْ عَيْنِ الْإِنْسِ، فَلَمَّا نَزَلَتْ سُورَتَا الْمُعَوِّذَتَيْنِ أَخَذَ بِهِمَا وَتَرَكَ مَا سِوَى ذَلِكَ».

إذاً فقوله: «أُعِيدُكُمْ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ»، أي: بكل كلمة لله، أو بالمعوذتين: الفلق والناس.

أو أعيدكما بكلمات الله التامة، أي: الشافية المباركة الكاملة النافعة المستمرة التي لا تنقطع ولا تنقضي، ومعنى ذلك أنه لا يستطيع أن يمسهما أحد بسوء بعد أن حصنهما بهذه الكلمات المباركات النافعات.

قوله: «مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ»: والشيطان نوعان: شيطان الإنس، وشيطان الجن، ولا بد أن تخاف على أولادك من شيطان الإنس قبل أن تخاف عليهم من شيطان الجن، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

إِذَا فَالشَّيْطَانُ يَسْعَى إِلَى إِضْلَالِ النَّاسِ وَأَوْلَادِهِمْ، وَجَعَلَهُمْ
حَطْبًا لْجَهَنَّمَ - وَقَانَا اللَّهُ مِنَ النَّارِ وَغَضِبَ الْجَبَّارُ - فَتَحْنُ نَعُوذُ
أَوْلَادَنَا بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ؛ لِئَلَّا يَضِلَّهُمْ أَوْ يَفْتِنَهُمْ أَوْ
يَزِيغَ قُلُوبَهُمْ أَوْ يُوَسَّوَسَ لَهُمْ بِسُوءٍ.

وكذلك في الإنس شياطين نتعوذ بالله منهم، كما قال - تعالى - :
﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ
إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [الأنعام: ١١٢]، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ
الشَّيْطَانَ لِيُوحِيَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِ لِيُجَادِلُوكُمْ ﴾ [الأنعام: ١٢١].

فهناك أناس متخصصون لإيقاع أولادنا في الشر، والمطلوب
أن نُحَصِّنَ أولادنا من شياطين الإنس الذين يُزَيِّنُونَ الشهوات
لأولادنا، مثل: التبرج، والفجور، والفسوق، والعصيان،
والشبهات، والمخدرات، وغيرها من الأمور المضلة، سواء أكانت
شهوة أو شبهة، ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ
يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ (٢٧) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ
وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٢٧-٢٨].

فأنت تقول لأولادك: أعيدكم بكلمات الله التامة من كل
شيطان من الإنس أن يغويكم ويبعدكم عن طريق الله، ومن كل
شيطان من الجن أن يضلكم عن الصراط المستقيم.

قوله: «وَهَامَّةٌ»: وهي كل ما يهْمُ بسوء.

أو هي الحشرات السامة القاتلة، أما الحشرات السامة غير القاتلة، فلا يقال: هامة بل يقال: سَامَّةٌ.

فالحشرات السامة القاتلة مثل: الأفاعي، والحيات، والثعابين.

والحشرات السامة غير القاتلة: كالدبابير والعقرب.

فأنت مُحَصِّنٌ أولادك من كل حشرة سامة قاتلة، أو من كل شيء يسم البدن، أو يريد أولادك بسوء.

قوله: «وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ»، العين معروفة، وقوله: «لَامَّةٍ» أي: تلم الشر بالإنسان.

فكُلُّ عَيْنٍ تُصَوِّبُ إلى أولادك ولا تدعو صاحبها بالبركة، أو لا يقول: «ما شاء الله لا قوة إلا بالله» قد تصيبهم بالعين، فأنت تقول: يا ربِّ إني أَحَصِّنُ أولادي من كل عين ترى جمالهم، أو تَفُوقُهُمْ، أو أخلاقهم، أو ملابسهم، أو حُسْنَ مظهرهم، وهذه العين لا تباركهم أي: لا تقول: اللهم بارك، ولا يقول صاحبها: ما شاء الله لا قوة إلا بالله؛ فيا ربِّ حَصِّنْ أولادي من هذه العين.

والعين يُقصد بها أحد أمرين:

الأول: العين، وهي النظر بمزيد استحسان وإعجاب دون تمنُّ لزوال النعمة.

والثاني: الحسد، وهو أن ينظر إلى أولادك بنفس خبيثة، فيستكثر عليك أولادك ويقول: لماذا أُعطيَ أولادًا دوني؟ -والعياذ بالله- أو يرى تَفَوُّقَ أولادك فيقول: لماذا أولاده متفوقون؟ ويتمنى أن يراسب أولادك، وهكذا في اللبس، والصحة، والقوة، هذا هو الحسد.

فأنت تُعوِّذُ أولادك «مِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامِتَةٍ» أي: من كل حاسد ينظر إلى أولادك بخبث يريد أن تزول عنهم النعمة والصحة والقوة والتفوق.

والعين: قد تكون منك أنت، أو الأم، أو جدهم، أو جدتهم، أو عمهم، أو عمتهم، أو خالهم، أو خالتهن، أو صاحبك، أو أي غريب ينظر إلى أولادك فرحًا بهم، ويرد بهم الخير، وينظر دون أن يُبرِّك، أو يقول شيئًا من الأذكار التي أشرنا إليها قبل قليل؛ فيقع من العين شيء عجيب قد يصل به الأذى إلى الأولاد، مع أنه لم يقصد الأذى لهم، لكن نظر إليهم بإعجاب، وَلِكِنِّي تَطْفَى نَارَ الإِعْجَابِ وَأَثَرَ الْعَيْنِ قُل: «ما شاء الله لا قوة إلا بالله»، قل: «اللهم بارك».

أما إذا حَصَّتْهُمْ في الصباح الباكر، فكل عين تراهم وتنظر إليهم يجعلها الله عليهم بردًا وسلامًا.

وتأمل هذا الحديث الذي حَسَّنَهُ الحافظ ابن حجر والشيخ الألباني رَحِمَهُمَا اللهُ يقول النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «أَكْثَرُ مَنْ يَمُوتُ مِنْ أُمَّتِي بَعْدَ كِتَابِ اللهِ وَقَضَائِهِ وَقَدْرِهِ بِالْأَنْفُسِ»^(١)، يعني: بالعين، فكم من أناس أقوياء ذوي صحة وعافية يَخْرُجُ أحدهم صريعًا مِنْ نَظَرَةِ استحسانٍ دون قَصْدٍ من العائن للأذى! فإذا أردت النجاة من شخص كهذا فقل هذا التعوذ، وحَصِّنْ نفسك وأولادك به.

وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: دخل النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فسمع صوت صبي يبكي، فقال: «مَا لِيصْبِيكُمْ هَذَا يَبْكِي؟، هَلَّا اسْتَرْقَيْتُمْ لَهُ مِنَ الْعَيْنِ؟»^(٢).

(١) (حسن) أخرجه أبو داود الطيالسي في «مسنده» برقم [١٧٦٠]، بلفظ:

«جُلُّ مَنْ يَمُوتُ مِنْ أُمَّتِي بَعْدَ كِتَابِ اللهِ وَقَضَائِهِ وَقَدْرِهِ بِالْأَنْفُسِ».

(٢) (صحيح بطرقه وشواهد) أخرجه أحمد برقم [٢٤٤٤٢]، وقال الأرئؤوط: «إسناد ضعيف لضعف أبي أويس: وهو عبد الله بن عبد الله ابن أويس الأصبحي، وبقية رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين... وقد سلف برقم [٢٤٣٤٥] من طريق عبد الله بن شداد، عن عائشة، وفيه أن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أمرها أن تسترقي من العين، وإسناده صحيح».

فنحن نحتاج أن نعوّذ أولادنا بمثل هذه التعوذات، فاللَّهُمَّ
 حَصِّنَا بِمَا حَصَّنْتَ بِهِ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَآلَ بَيْتِهِ،
 وباللَّهِ التَّوْفِيقَ .



obeikandi.com

äæ · ä äæäæ· ä ä

تعويذة نبوية مباركة نحتاج إليها موسميًا أو يوميًا.

مَوْسِمِيًّا مثل: عبد الفطر، أو الأضحى، أو دخول المدارس والجامعات، أو المناسبات كالأفراح والاحتفالات.

أَمَّا يَوْمِيًّا فيعني أنها تُقال عند كل مرة نرتدي فيها ثيابنا صباحًا ومساءً، ومعلوم أنه لا بد للمرء من ارتداء ملابس كل يوم يتزين بها ويستر عورته، ولا يصلح أن يسير المرء عريانًا! وقد امتن الله - تعالى - علينا بنعمة اللبس فقال: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُؤَرِّى سَوْءَ بَدَنِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسَ الْتَقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٦].

اللباس: هو ما يستر العورة، والريش: هو ما يُتزين به.

فيمكن أن نسمي الثياب الداخلية التي تستر العورة لباسًا، وتطلق على الظاهر أيضًا.

وأما الريش: فهو الملابس التي يُتَحَلَّى ويُتزين بها من حيث الظاهر والأناقة والجمال؛ والعامّة تقول: «فلان مَتْرِيَّش» يعنون أنه صاحب مال حتى ظهر ذلك عليه، وأما كانز المال الباخل به فلا يقال عنه ذلك، إذًا فالريش يعني المظهر والأناقة.

إن كل واحد منا غالبًا ما يلبس الجديد في المواسم المتنوعة؛ ويشترى في الأعياد والمناسبات ملابس جديدة، أو يلبس كل يوم ثوبًا بعد غسله وكيه، ولذا فإننا في حاجة مع كل لبس يوميٍّ أو موسميٍّ أن تحصن ثيابك هذه.

وهذا يدل على شمول الدين لحياة المسلم كلها كما قال تعالى:

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

وما ترك النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - باب خير إلا ودلنا عليه، ولا باب شرٍ إلا وحذرنا منه، حتى الثياب علمنا النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تعويذة نحصنُها بها، ومن ذا الذي بإمكانه إذا مُزَّق ثوبه أن يشتري ثوبًا جديدًا بدلًا عنه؟! إن كثيرًا من الناس لا تساعدهم المادَّة على شراء ملابس جديدة!!

فإذا أردت أن يبارك الله لك في ثيابك، وأن يبقى لك فيها أناقتها ومظهرها الحسن؛ فعليك بهذه التعويذة الاقتصادية:

عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إذا استجدَّ ثوبًا سمَّاه باسمه - قَمِيصٌ أَوْ عِمَامَةٌ - ثم يقول:

«اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ، أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ وَخَيْرِ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ» (١).

(١) (صحيح) سبق تخريجه، ص (٣٧)، هامش (٢).

ومما يتعلق بهذا أن نعلم أن اللبس نعمة؛ فينبغي أن نشكر نعمة ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَيْنَا، فَإِنَّ مَنْ شَكَرَ نِعْمَةَ الثِّيَابِ وَالطَّعَامِ وَغَيْرَهُمَا مِنْ نِعْمِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ؛ زَادَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى - : ﴿وَإِذْ تَأْتِيَنَّكُمْ رِبُّكُمْ لِئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]، فإذا شكرت الله على نعمة الثياب؛ زادك الله ثوباً آخر، وثالثاً، ورابعاً.

إذا فهذه التعويذة تحصين للثوب الموجود، وطلب لثوب جديد، وهذا طمع محمود في كرم الله وفضله ورزقه.

وفي الحديث: «مَنْ أَكَلَ طَعَامًا ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا الطَّعَامَ، وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، وَمَنْ لَبَسَ ثَوْبًا فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي هَذَا الثَّوْبَ وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ»^(١).

(١) (حسن دون قوله: «وَمَا تَأَخَّرَ» في الموضوعين) أخرجه أبو داود برقم [٤٠٢٣]، واللفظ له، والترمذي برقم [٣٤٥٨]، وأحمد برقم [١٥٦٣٢]، كلاهما دون قوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «وَمَنْ لَبَسَ ثَوْبًا فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي هَذَا الثَّوْبَ وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»، وبدون قوله: «وَمَا تَأَخَّرَ».

وهذه المغفرة للصغائر دون الكبائر، وهذا الفضل ليس لكل من يقول هذا الدعاء!! بل لا بد أن يكون قائله ممن يؤدي الفرائض، ويجتنب الكبائر.

فهذه علاوةٌ ينالها مَنْ أَكَلَ أو لَبَسَ فقال هذا الدعاء.

مَنْ الذي يحصل على العلاوة؟ أهو من يذهب إلى العمل ويهتم به، أم من يغيب ويقصر؟ إن من يذهب إلى العمل ويهتم به هو الذي يحصل على العلاوة، وَعَمَلُنَا هو إقامة الفرائض واجتناب الكبائر، فلو أقيمت الفرائض؛ كالصلاة، واجتنبت الكبائر؛ كالغيبة، والنميمة مثلاً، ثم قلت هذا الدعاء؛ كُفِّرَتِ السيئاتُ الصغائرُ وَعُفِّرَتْ بفضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَمَنْهُ وكرمه.

فقوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ كَسَوْتَنِي»، فيه نسبة النعمة إلى الله عَزَّجَلَّ؛ لأن بعض الناس حينما يلبس ثوباً جديداً يتذكر راتبه الذي تقاضاه، وأنه عنده مال لولاه ما اشترى الثياب! فلا تَدْكُرْ ما معك من المال، ولكن اذكر ربك الذي أنعم به عليك، وقل: ﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي ﴾ [النمل: ٤٠]، ﴿ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٣].

فأول شيء حتى يحمي الله عَزَّجَلَّ لك ثوبك، وبارك لك فيه، ويرزقك الله خيرًا منه: أن تنسب النعمة إلى الله عَزَّجَلَّ.

وقد حفظت هذا الدعاء من والدي رَحْمَةُ اللَّهِ وأنا صغير، فقد كنت وإخوتي إذا لبسنا ثياب الأزهر أو غيرها استوقفنا الوالد رَحْمَةُ اللَّهِ، ويقرأ علينا هذا الدعاء، ويأمرنا أن نردَّدَ خَلْفَهُ، فَلْيُعَلِّمِ الآباءُ أبناءهم أن يقولوا هذا الدعاء ليربطوهم بالله عَزَّجَلَّ.

قوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ وَخَيْرِ مَا صُنِعَ لَهُ»: خَيْرُ الثَّوْبِ: هو أن يستر عورتك، وستر العورة من الأمور الواجبة.

خيرُ الثَّوْبِ: أن تتجمل به أمام الناس؛ فتكون أمامهم وجيهاً، فلا يزدريك أحدٌ منهم، أو يستهين بك.

خير الثَّوْبِ: إذا نظر أحدٌ إلى ثوبي المتواضع يراه أنيقاً فاخراً؛ ويسألني من أين اشتريت هذا الثوب؟! رغم أنه يساوي ثمنًا زهيداً، فيظنه الناس باهظ الثمن، وهذا من البركة؛ فالله عَزَّجَلَّ جَمَلَهُ في أعين الناظرين إليك!!

وأيضاً: إذا آتاك الله المال فأنفق على نفسك في الحلال؛ فقد أباح الله عَزَّجَلَّ لنا الطيبات، بل هو عَزَّجَلَّ يحب ظهور النعمة على عبده.

عن أبي الأحوص عن أبيه قال: أتيت النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في ثوبٍ دُونَ فَقَالَ: «أَلَيْكَ مَا؟» قال: نعم، قال: «مِنْ أَيِّ الْمَالِ؟» قال: قد آتاني اللهُ من الإبل، والغنم، والحيل، والرقيق، قال: «فَإِذَا آتَاكَ اللهُ مَالًا فَلْيُرْ أَثْرُ نِعْمَةِ اللهِ عَلَيْكَ وَكَرَامَتُهُ» (١).

وقوله: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ»، أي: أعوذ بك يا رب أن أراي بثوبي أو أفتخر به. فهناك من الناس من يلبس الثوب ليتفاخر به ويتكبر على عباد الله، وعقوبة هؤلاء شديدة عند الله عَزَّوَجَلَّ؛ فعن محمد بن زياد، مولى بني جُمَح، أنه سمع أبا هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ: قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «بَيْنَا رَجُلٌ يَتَبَخَّرُ فِي حُلَّتِهِ، مُعْجَبٌ بِجَمَّتِهِ، قَدْ أَسْبَلَ إِزَارَهُ، إِذْ خَسَفَ اللهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلَّجَلُ - أَوْ قَالَ: يَهْوِي - فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» (٢).

وكذلك من يلبس ثوب شهرة للتفاخر به على الناس، لَا تَحُدُّثَا بِنِعْمَةِ اللهِ - ولكل امرئ ما نوى - فاسمع فيه الحديث الصحيح: «مَنْ لَبَسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ فِي الدُّنْيَا، أَلْبَسَهُ اللهُ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٣).

(١) (صحيح) أخرجه أبو داود برقم [٤٠٦٣].

(٢) (صحيح) أخرجه أحمد برقم [٧٦٣٠].

(٣) (حسن) أخرجه ابن ماجه برقم [٣٦٠٧]، وزاد فيه: «ثُمَّ أَلْهَبَ فِيهِ نَارًا»، وأحمد برقم [٥٦٦٤].

وكذلك من شر الثياب: أن تكون ضارة بصحة لابسها، وخصوصًا في أيامنا هذه^(١)، فبعض صنّاع الملابس يضيفون إلى الثياب المواد الكيماوية الضارة حتى يظل الثوب محتفظًا بقوامه، فإذا لبست الثوب، وكنت لا تعلم نسبة هذه المواد الكيماوية الضارة التي استُخدمت في الصبّاعة، وما تسببه من أمراض للجلد؛ فقل: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ»، أي: يا رب احمني من هذه السموم الناشئة عن صبّاعة هذا الثوب.

وشر الثوب: أن يكون فتنة، والمعنى: أعوذ بك أن يكون ثوبي فتنة، وبخاصة النساء، فتقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ ثِيَابِي هَذِهِ، وَمِنْ شَرِّ مَا صُنِعَتْ لَهُ»، فلا يفتن بها الرجال، فلا تكون ثياب الخروج للمرأة مزركشة ولا مُزينة.

وشر الثوب: أن يكون فيه تشبهُ بمن لا يجوز التشبه له، والمعنى: أعوذ بك أن يشبه هذا الثوب ثياب النساء - إن كنت رجلاً - أو أن يشبه ثياب الرجال - إن كنت امرأة - لأن الرسول - صَلَّى اللَّهُ

(١) وقد قرأت مرة خبرًا في «مجلة الوعي الإسلامي» عن بعض الملابس الصينية أن مادة تسمى الفورمالين - على ما أذكر - أضيفت إليها بنسبة ٥٠٪!! وأنها تسبب سرطان الجلد والعياذ بالله!! لأن الصبّاعة لها نِسَبٌ معينة إذا زادت عن الحد المقرر كانت شرًا متسطينًا!!

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ،
وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ» (١)، وفي رواية: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ
- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الرَّجُلَ يَلْبَسُ نِبْسَةَ الْمَرْأَةِ، وَالْمَرْأَةَ تَلْبَسُ
نِبْسَةَ الرَّجُلِ» (٢).

وشر الثوب: أن يشتمل على مخالفات شرعية، كالإسبال،
والمعنى: أعود بك من شر الثوب، ومن الإسبال المذموم: ففي
الحديث: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى مَنْ يَجْرُ إِزَارُهُ بَطْرًا» (٣).

وفي الحديث الآخر: عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي - صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنه قال: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا
يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ» قال: فقرأها رسول الله - صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، خَابُوا
وَخَسِرُوا، خَابُوا وَخَسِرُوا، قَالَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:
«الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنْفِقُ سَلَعَتَهُ بِالْحَلْفِ الْكَاذِبِ» (٤)،
و«الْمُسْبِلُ»، أي: الذي يطيل ثيابه دون الكعبين من الرجال.

(١) (صحيح) أخرجه أحمد برقم [٣١٥١].

(٢) (صحيح) أخرجه أبو داود برقم [٤٠٩٨]، وأحمد برقم [٨٣٠٩].

(٣) (صحيح) أخرجه مسلم برقم [٢٠٨٧].

(٤) (صحيح) أخرجه مسلم برقم [١٠٦] وزاد قوله: «إِزَارُهُ» بعد قوله:

«الْمُسْبِلُ»، وأحمد برقم [٢١٤٣٦]، واللفظ له.

إذا فلا بد أن نشكر الله على نعمة الثوب، وأن نحمده عليه إذا كان جديداً، أو كلما لبسته بعد غسله وكَيِّه، ثم تسأل الله من خيره وتستعيد به من شره.

ثم بعد ذلك ينبغي أن نراعي مسألة التواضع في الثياب؛ فقد قال النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ»، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً؟، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ»^(١)، و«بَطْرُ الْحَقِّ»، أي: رَدُّهُ، و«غَمَطُ النَّاسِ»، أي: احتقارهم.

ينبغي على المسلم أن يتواضع في ثيابه وأن لا يتكبر بها على عباد الله؛ ففي الحديث الصحيح أيضاً أن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «مَنْ تَرَكَ اللَّبَاسَ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ؛ تَوَاضَعًا لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ دَعَاهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ، حَتَّى يُخَيَّرَهُ فِي حُلِّهِ الْإِيمَانَ أَيْهَا شَاءَ»^(٢).

قوله: «تَرَكَ اللَّبَاسَ»، لا يعني أن يتركه بالكلية، وإنما المعنى أنه يترك التفاخر والمبالغة في التزين، فإذا كان الثوب بألف اشترى

(١) (صحيح) أخرجه مسلم [٩١]، واللفظ له، والترمذي [١٩٩٩].

(٢) (حسن) أخرجه أحمد برقم [١٥٦٣١].

ثوبًا بخمسائة، حتى لا يكسر قلوب مَنْ حَوْلَهُ من الفقراء، وحتى يكون قريبًا منهم، والله عَزَّوَجَلَّ يأجره أجرًا كريمًا.

قوله: «حُلِّلِ الْإِيمَانَ» أي: حُلِّلِ الْجَنَّةَ، فيلبس ما يشتهيهِ في الجنة لأنه تواضع لله عَزَّوَجَلَّ.

وكان علي بن الحسين بن علي - زين العابدين رَحِمَهُ اللهُ - يلبس أحسن شيء عنده، ويذهب ويجلس وسط الفقراء والمساكين، فلما سُئِلَ عن ذلك قال: «يَفْرَحُونَ بِي حِينَمَا يَرَوْنَ هَذِهِ الْمَلَابِسَ، وَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أُدْخَلَ السُّرُورَ عَلَيْهِمْ»، وهذا مِنْ خَيْرِ الثُّوبِ، أَنْ يَرَاكَ النَّاسُ صَاحِبَ هَيْئَةٍ وَطَلْعَةٍ بَهِيَّةٍ، فَيَسْرُونَ بِكَ.

فاللهم لك الحمد على ما كسوتنا ورزقتنا من الثياب، ونسألك يا ربنا من خيرها وخير ما صنعت له، ونعوذ بك من شرها وشر ما صنعت له.



عَبَّ · آءَ · آءَ · آءَ · آءَ

إن بيوتنا التي نسكنها ونأوي إليها نعمة من نعم الله عَزَّوَجَلَّ،
فينبغي أن نشكرها، جعل لنا من بيوتنا سكناً نستتر فيه ونستريح.

جاء رجل إلى عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال له: هل
أنا من فقراء المهاجرين أم من أغنيائهم؟ فسأله عبد الله بن عمرو بن
العاص فقال له: «هل لديك مسكن؟» فقال: نعم، قال: «هل لديك
زوجة؟» قال: نعم، قال: «فأنت من أغنياء المهاجرين!!»، فهذا عبد
الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يُعَدُّ صاحب المسكن ومن كانت
له زوجة من أغنياء المهاجرين، فقال الرجل السائل: فإن لنا خادماً
تخدمنا، فقال: «اذهب فأنت من ملوك المهاجرين!!».

إن البيوت لا نلزمها بالليل والنهار، ولا نمكث فيها أبداً لا
نخرج منها، بل لا بد لنا من السعي على أمور المعاش، ولا بد لنا من
الخروج إلى الجمعة والجماعات، ولا بد لنا من المشاركة في الأعمال
الاجتماعية والأعمال التي يحتاج إليها الإنسان في كل زمان ومكان.

وحينما يخرج الإنسان من بيته فإنه عرضة لسهام كثيرة،
وأما وهو جالس في البيت فإنه آمنٌ سالمٌ؛ فإذا خرجت من بيتك
تعرضت للناس، وتعرضت للشيطان، تعرضت في دينك ودنياك

للخطر، ومن هنا كانت هذه التعويذة التي تروىها أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا
 قالت: ما خرج النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من بيتي قط إلا رفع
 طرفه إلى السماء فقال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ
 أَوْ أُزَلَ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلِمَ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ» (١).

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خادم النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ - أن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ
 مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ: «بِسْمِ اللهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا
 بِاللَّهِ». قَالَ: «يُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدَيْتَ، وَكُفَيْتَ، وَوُقِيْتَ، فَتَتَنَحَّى لَهُ
 الشَّيَاطِينُ، فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ
 وَكُفِيَ وَوُقِيَ؟» (٢).

فيمكننا أن نأخذ تعويذة الخروج من المنزل من حديث
 أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وحديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فنقول عند الخروج
 من البيت: «بِسْمِ اللهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ،
 اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلِمَ، أَوْ
 أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ».

(١) (صحيح) سبق تخريجه، ص (٣٧)، هامش (٤).

(٢) (صحيح) تقدّم تخريجه، ص (٣٧)، هامش (٣).

نقول: «بِسْمِ اللَّهِ»: طلباً للبركة واستعانة بالله، ولا بد منها في ابتدائنا في كل أحوالنا؛ بسم الله أقرأ، وبسم الله ألبس الثياب، وبسم الله أَخْلَعُ الثياب، وبسم الله أكل، وبسم الله أخرج من المنزل، وبسم الله أَدْخُلُ المنزل، وبسم الله في كل أحوالنا؛ طلباً للبركة، واسم الله عَزَّجَلَّ لا يوضع على شيء أو في شيء إلا حصلت فيه البركة.

وقوله: «تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ»: طلباً للاستعانة أي: نستعين بالله على قضاء حوائجنا وأمورنا؛ حتى تُقضى على خير وجه وأتمه وأكمله، قال عَزَّجَلَّ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ [الفرقان: ٥٨].

وقوله: «وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»، الحَوْلُ أي: التحول من حال إلى حال، هل يمكنك وأنت جالس في بيتك أن تخرج من البيت وتسعى على قدميك طالباً لقوتك وقوت أولادك من تلقاء نفسك؟ لا يمكنك، إذا فالله عَزَّجَلَّ هو الذي يُحوِّلُك من داخل البيت إلى خارجه سعياً على المعاش؛ إذا لا تحوّل من حال إلى حال: من فقر إلى غنى، من مرض إلى صحة، من شقاوة إلى سعادة، من خوف إلى أمن إلا بالله، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

فإذا تحولت من البيت إلى خارجه بالله عَزَّجَلَّ، فهل يمكنك العمل بِقُوَّتِكَ أنت؟ لا يمكنك، «وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» أي: ولا أستطيع أن أُنْجِزَ أَعْمَالِي، أو أقوى على القيام بها إلا إذا وهبني الله عَزَّجَلَّ القوة.

إنَّ هذا كلام عظيم القدر لا نريد أن نرده بألسنتنا فقط بل نريد أن نتعلم معناه.

قوله: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ» أي: أَضِلُّ عن الحق والصراط المستقيم، يعني: يا رب أحتمي وأستجير بك أن أقع في الضلال بنفسى، أو أن يضلني أحد.

فالوقوع في الضلال يكون بنفسك حينما تُجاور الضالين، أو حينما تبتعد عن أصول دينك، أو عند عدم مراقبتك لله عَزَّجَلَّ.

فتقول: يا رب احمني وأعذني من الضلالة، وارزقني سلوك طريق الهداية، ولزوم طريق الاستقامة.

أعوذ بك أن أَضِلَّ في نفسي أو أَضَلَّ، أي: أَنْ يُسَلِّطَ عَلَيَّ مَنْ يوسوس لي من شياطين الإنس أو الجن، فيبعدي عن طريق الهداية ويضلني عن صراطك.

وقد قال الله عَزَّجَلَّ عن الشيطان: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْتَا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَا ضَلَّتْهُمْ وَلَا مَنِيتْهُمْ وَلَا أَمْرُنْهُمْ فَلْيَعْبِرُوا خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴿النساء: ١١٧-١١٩﴾.

قد أقسم الشيطان أن يضل الناس، فتقول أنت عائداً: يارب أعوذ بك أن أضلَّ في نفسي، أو أن يضلني الشيطان أو أن يضلني أحدٌ من أصحاب السوء: ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَوْمَ لَقَىٰ لَيْتِي لَمْ أَخَذْ فَلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا ﴿٢٩﴾﴾.

[الفرقان: ٢٧-٢٩].

قوله: «أَوْ أَزَلَّ أَوْ أُزِلَّ»: الضلالة - كما في الفقرة السابقة - إنما تكون عن قصد، وأما الزلَّة فهي الضلالة من غير قصد، أي: يارب اعصمني من الخطأ المقصود، ومن الخطأ غير المقصود، واسترني وجملني بالستر، وأكمل لي أحوالي كلها ظاهراً وباطناً، واجعلها صواباً، وأعذني من الضلالة والزلل متعمداً أو غير متعمد.

قوله: «أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلِمَ»: أعوذ بك أن أظلم أحداً من الناس، أو أن يظلمني أحد منهم.

وهذه نحتاج إليها في زماننا والله؛ لظهور الظلم فيه!! إنك تقول: يا رب اجعلني من الذين يحكمون بالعدل، ومن الذين يقومون به في أحوال الناس كلها.

فإذا كنت مُدرِّسًا في مدرسة أو في جامعة فلا تظلم التلاميذ، ولو كنت مديرًا في شركة أو مصلحة فلا تظلم الذين تحت يدك.

فالمعنى: يا رب وَفَّقْنِي لأن أقوم في عملي بالحق، وأن أقوم مع الناس بالقسطاس المستقيم.

وقوله: «أَوْ أُظْلِمَ» أي: يا رب لا يظلمني أحد، ولا يعتدي عليّ في نفسي، ولا في عرضي ولا ما شابه ذلك.

وإذا عاش الناس في الدنيا بالعدل سَعِدُوا، فقد قال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في حجة الوداع: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، هَلْ تَدْرُونَ فِي أَيِّ يَوْمٍ أَنْتُمْ؟ وَفِي أَيِّ شَهْرٍ أَنْتُمْ؟ وَفِي أَيِّ بَلَدٍ أَنْتُمْ؟» قالوا: في يوم حرام، وشهر حرام، وبلد حرام، قال: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَهُ» ثم قال: «اسْمَعُوا مِنِّي تَعِيشُوا، أَلَا

لَا تَظْلِمُوا، أَلَا لَا تَظْلِمُوا، أَلَا لَا تَظْلِمُوا، إِنَّهُ لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ إِلَّا
بَطِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ...» (١).

وكان بعض الصالحين يقول: «اللَّهُمَّ سَلِّمْ نَفْسِي وَسَلِّمْ مِنِّي»،
سَلِّمْ مِنِّي من أذى الناس، وَسَلِّمْ الناس من أذاي.

وقوله: «أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ»: للجهل عدة معانٍ: فالجهل
ضد العلم أي: يارب أعوذ بك أن أخرج من بيتي وأنا جاهل بأمور
ديني، أو يارب أعوذ بك أن أجهل حقوقك، أو أعوذ بك أن أجهل
حقوق الناس.

وللجهل معنى آخر، وهو ضد الحلم، أي: الغضب والحدة،
أي: أعوذ بك أن أُوذِيَ أَحَدًا من عبادك، وقال عمرو بن كلثوم:

أَلَا لَا يُجْهَلْنَ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا
وَنَشْرَبُ إِنْ وَرَدْنَا الْمَاءَ صَفْوًا وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدِرًا وَطِينَا

يقصد أن مَنْ صَفَعَهُ مَرَّةً يَرُدُّ إِلَيْهِ صَفَعَتَهُ مَرَّتَيْنِ، وهذا اسمه
الجهل، أي: الغضب والإساءة، وقد قال الله عَزَّجَلَّ لِنَبِيِّهِ - صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾
[الأعراف: ١٩٩]، أي: عن أصحاب الإساءة، وأصحاب الحماقات
والطيش والسفه، فابتعد عمن يؤذيك.

(١) (صحيح) أخرجه أحمد برقم [٢٠٦٩٥].

وقال عَزَّجَلَّ: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، وهذا يسمَّى سَلَامُ الْمُتَارِكَةِ، أي: يمشون دون أن يَرُدُّوا عليهم ﴿سَلَّمَ عَلَيْكُمْ لَا نَبَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥].

فحينما تخرج من بيتك تدعو بهذا الدعاء، وحينئذ يزكي الله عَزَّجَلَّ نفسك، ويطهر قلبك، فإذا اعتدى عليك أحد فإنك ستواجه الموقف بشجاعة من غير طيش.

فإذا قلت هذا الدعاء؛ حفظك الله في خروجك، وحفظك في عمك كله، وحماك ورعاك.



قوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ»: «خَيْرَهَا» أي: خير الزوجة، و«جَبَلْتَهَا» أي: خلقتها، والمعنى: يا رب اجعل خصال الفطرة كلها، والصفات الحميدة التي فيها سبباً للألفة والسكينة والمودة والرحمة.

إِنَّ الزَّوْجَةَ الصَّالِحَةَ خَيْرَ مَتَاعِ الدُّنْيَا، فَسَلِ اللَّهَ أَنْ يَمْتَعَكَ بِهَا، وَلْتَسْأَلِ الزَّوْجَةَ - أَيْضًا - اللَّهَ - تَعَالَى - أَنْ يَمْتَعَهَا بِزَوْجِهَا، وَأَنْ يَرْزُقَهَا خَيْرَهُ وَأَنْ يَقِيهَا شَرَّهُ، وَكَمَا أَنَّ الزَّوْجَ يَقُولُ هَذَا الدُّعَاءَ، فَإِنَّ الزَّوْجَةَ كَذَلِكَ، وَتَكُونُ الْعِلَاقَاتُ بَيْنَهُمَا مُتَبَادِلَةً، يَقُولُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ» (١).

ويكشف لنا خيرَ الزوجة الحديثُ الصحيح الذي رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : أَيْ النِّسَاءِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «الَّتِي تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ، وَلَا تُخَالِفُهُ فِيمَا يَكْرَهُ فِي نَفْسِهَا، وَلَا فِي مَالِهِ» (٢)، فهي جميلة الخَلِقة، أو أنها تهتم بجمالها وتزين له.

(١) (صحيح) أخرجه مسلم برقم [١٤٦٧]، واللفظ له، والنسائي برقم [٣٢٣٢]، وابن ماجه برقم [١٨٥٥].

(٢) (صحيح) أخرجه النسائي برقم [٣٢٣١]، وأحمد برقم [٩٥٨٧].

وتطيعه إذا أمرها بالمعروف، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق؛ ولو أمرها بالمعصية وجب عليها الامتناع عن فعلها، فإنها إذا فعلت ذلك أدخلت السرور على قلبه وأحبها وألفها. وإذا غاب عنها في عمله، أو كان مسافراً: حافظت على عرضه، وحفظت ماله وأولاده.

هذا هو الخير الذي تسأل ربك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يعطيك إياه من خلال الزوجة.

وقوله: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَمِنْ شَرِّ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ»: شرُّ المرأة: كثرة الشكاية، وكفران العشير والإحسان، وهذا ما قاله النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِتُرْشِدَ الْمَرْأَةَ مِنْ أَخْلَاقِهَا، وَتُقَوِّمَ مِنْ طَبَاعِهَا، فحِينَئِذٍ تُرْضِي رَبَّهَا.

قال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «... وَرَأَيْتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ مَنْظَرًا قَطُّ وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ». قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: «بِكُفْرِهِنَّ» قيل: أيكفرن بالله؟ قال: «يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ، وَلَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ» (١).

(١) (متفق عليه) أخرجه البخاري بأرقام [٢٩، ٤٣١، ٧٤٨، ١٠٥٢، ٣٢٠٢، ٥١٩٧]، ومسلم [٩٠٧]، والنسائي [١٤٩٣]، وأحمد [٢٧١١].

وَيُسْنُّ لِلزَّوْجِ أَنْ يَقُولَ عَائِدًا: يَا رَبَّ أَمْنِي مِنْ شَكَايَتِهَا، وَأَمْنِي

مِنْ كِفْرَانِ الْعَشِيرِ.

وفي الأثر عن فضالة بن عبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ثَلَاثٌ مِنَ الْفَوَاقِرِ (١):

إِمَامٌ إِنْ أَحْسَنَتْ لَمْ يَشْكُرْ، وَإِنْ أَسَأَتْ لَمْ يَغْفِرْ، وَجَارٌ إِنْ رَأَى خَيْرًا دَفَنَهُ، وَإِنْ رَأَى شَرًّا أَشَاعَهُ، وَامْرَأَةٌ إِنْ حَضَرَتْ أَدَّتْكَ، وَإِنْ غَبَتْ خَانَتْكَ» (٢).

أي: آذته بلسانها، بأن ترد عليه الكلمة بكلمتين، أو بالفعل

السيء، فهذه من الفواقير التي تخرب بالبيوت.

وقد قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (٣):

«النساء ثلاثة: امرأة هينة لينة عفيفة مسلمة ودود ولود، تُعين

أهلها على الدهر، ولا تعين الدهر على أهلها، وقل ما تحدها.

(١) أخرجه من كلام فضالة موقوفًا عليه: هنّاد في «الزهد» رقم [١٤٠٣]، ووكيع في «الزهد» رقم [٤٥٠].

(٢) الفواقير: أي الدّواهي، واحِدَتُهَا: فاقِرة، كأنها تَحْطِمُ فِقَارَ الظَّهْرِ، كما يقال: قاصمة الظهر.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٣/٥٥٩) [١٧١٤٧]، وابن أبي الدنيا في «الأشراف» (١/٢٢٧) [٢٦٧]، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١١/١٦٧) [٨٣٥١].

وامرأة عفيفة مسلمة، إنما هي وعاءٌ للولد، ليس عندها غير ذلك.

وَعُلُّ قَمَلٍ^(١)، يجعلها الله في عنق من يشاء، وإذا أراد أن ينزعه نزعه.

فتقول: «أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا خَلَقْتَهَا عَلَيْهِ»، أي: أَعُوذُ بِكَ أَنْ تَكُونَ زَوْجَةً تُنْعِصُ عَلَيَّ، أَوْ تُكَدِّرُ عَلَيَّ حَيَاتِي وَمَعِيشَتِي. وهنا نوصي الزوجات ونخبرهن أن أفضل شيء بعد طاعة الله - تعالى - أداء حق الزوج.

ورد في الحديث أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «لَوْ كُنْتُ أَمْرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِغَيْرِ اللَّهِ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ؛ لَا تُؤَدِّي الْمَرْأَةُ حَقَّ رَبِّهَا حَتَّى تُؤَدِّي حَقَّ زَوْجِهَا»^(٢).

(١) قوله: «عُلُّ قَمَلٍ»: كانوا يأخذون الأسير فيشُدُّونه بِالْقَدِّ «وَتَرَّ الْقَوْسُ» وعليه الشَّعْرُ «الليف»، فإذا يبس قَمَلٌ فِي عُنُقِهِ، فيجتمع عليه محتتان: العُلُّ والقَمَلُ.

ضَرَبَهُ مَثَلًا لِلْمَرْأَةِ السَّيِّئَةِ الْخَلْقِ، الْكَثِيرَةِ الْمَهْرِ، لَا يَجِدُ زَوْجَهَا مِنْهَا مَحَلِّصًا.

(٢) (صحيح) أخرجه أبو داود برقم [٢١٤٠]، والترمذي برقم [١١٥٩]، وابن ماجه برقم [١٨٥٣].

وفي الحديث الآخر: «إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا؛ قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتَ» (١).

ومن علامات السعادة: الزوجة الصالحة، ففي الحديث الصحيح عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «أَزْبَعُ مِنَ السَّعَادَةِ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ، وَالْجَارُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ، وَأَزْبَعُ مِنَ الشَّقَاوَةِ: الْجَارُ السَّوُّءُ، وَالْمَرْأَةُ السَّوُّءُ، وَالْمَسْكَنُ الضَّيِّقُ، وَالْمَرْكَبُ السَّوُّءُ» (٢).

وقال - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في حديث آخر: «ثَلَاثٌ مِنَ السَّعَادَةِ، وَثَلَاثٌ مِنَ الشَّقَاوَةِ، فَمِنَ السَّعَادَةِ: الْمَرْأَةُ تَرَاهَا تُعْجِبُكَ،

(١) (حسن لغيره) أخرجه أحمد برقم [١٦٦١]، قال الأرئؤوط: «حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف ابن لهيعة، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح... وله شاهد من حديث أبي هريرة عند ابن حبان [٤١٦٣]، وآخر من حديث أنس بن مالك عند البزار [١٤٦٣]، و[١٤٧٣]، وأبي نعيم في «الحلية» (٣٠٨/٦)، وسنده ضعيف، وثالث عن عبد الرحمن بن حسنة نسبه الهيثمي في «المجمع» (٣٠٦/٤) إلى الطبراني، وسنده ضعيف أيضاً، فالحديث يتقوى بهذه الشواهد».

(٢) (صحيح) أخرجه ابن حبان في صحيحه برقم [٤٠٣٢].

وَتَغِيبُ فَتَأْمَنُهَا عَلَى نَفْسِهَا وَمَالِكِ، وَالِدَابَّةُ تَكُونُ وَطِيَّةً (١)
 فَتُلْحِقُكَ بِأَصْحَابِكَ، وَالِدَارُ تَكُونُ وَاسِعَةً كَثِيرَةَ الْمَرَافِقِ، وَمِنْ
 الشَّقَاوَةِ: الْمَرْأَةُ تَرَاهَا فَتَسْوَعُكَ، وَتَحْمِلُ لِسَانَهَا عَلَيْكَ، وَإِنْ غِيبَتْ
 عَنْهَا لَمْ تَأْمَنُهَا عَلَى نَفْسِهَا وَمَالِكِ، وَالِدَابَّةُ تَكُونُ قَطُوفًا (٢)، فَإِنْ
 ضَرَبْتَهَا أَتَعَبْتِكَ، وَإِنْ تَرَكَبْتَهَا لَمْ تُلْحِقُكَ بِأَصْحَابِكَ، وَالِدَارُ تَكُونُ
 ضَيْقَةً قَلِيلَةَ الْمَرَافِقِ» (٣).



(١) وَطِيَّةٌ: أَي سَرِيعَةُ الْمَشْيِ، سَهْلَةُ الْإِنْقِيَادِ.

(٢) قَطُوفًا: أَي بَطِيئَةً.

(٣) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» بِرَقْمِ [٢٦٨٤]، وَقَالَ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ
 الْإِسْنَادُ مِنْ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْوَاسِطِيِّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ - تَفَرَّدَ بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ بَكِيرٍ عَنْ خَالِدٍ إِنْ كَانَ حَفِظَهُ، فَإِنَّهُ صَحِيحٌ عَلَى
 شَرْطِ الشَّيْخِينَ».

يتنفع بها؛ لأن ديننا ليس باللسان فقط، بل ديننا متكامل: قلب وأعضاء ولسان.

أخرج الإمام مسلم وغيره عن فروة بن نوفل الأشجعي قال: سألت عائشة عما كان رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يدعو به الله، قالت: كان يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمَلْتُ، وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلُ» (١).

فالنبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول ذلك، تعليماً لنا، فهو معصوم من الخطأ والأعمال الشريرة.

أو أنه يقوله افتقاراً إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وتواضعاً له.

فقوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمَلْتُ»، أي: من الذنوب والسيئات والأخطاء.

أو من ترك الحسنات، فإما أن تكون ارتكبت شيئاً سلبياً، أو تركت شيئاً إيجابياً.

إذا فالمعنى: أعوذ بك مما عملت من السيئات، أو مما تركت من الحسنات.

(١) (صحيح) تقدم تخريجه ص (٣٨) هامش (٢).

فالسّيئات مثل: الكذب، أو الغيبة، أو السرقة، وترك الصلاة، ومنع الزكاة، وعقوق الوالدين، والسب، والشتم، والطعن في الناس. فكانك تقول: «أعوذ بك من شر هذه الآثام يا رب، وأمّتي من ذنوبي الماضية، واعف عني، واغفر لي، واسترني».

أو أعوذ بك من شرّ تركِ الحسنات.

يقول النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةٌ»^(١)، أي: حسرة، حتى وإن دخلوا الجنة، فإن الواحد منهم يتذكر ساعة لم يذكر الله فيها فيقول: لو كنت ذكرتُ الله معهم في الدنيا لكنت معهم في درجاتهم في الجنة.

ومن الناس من يعمل الذنوب وينساها، والله عزَّ وجلَّ يقول:

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: ٦]، أحصاها الله عزَّ وجلَّ عليهم، وكتبته الملائكة في الصحف، ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلْعَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَشُورًا﴾ (١٣) ﴿أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣-١٤].

(١) (صحيح) أخرجه الترمذي برقم [٣٣٨٠]، وأحمد برقم [٩٨٤٣].

والمجرمون يوم القيامة يقولون: ﴿يَوَيْلُنَا مَا لِهَذَا الِكْتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩].

وقد يُذنبُ الإنسانُ ذنبًا وينساه، وربما تأتي عقوبته بعد عشرين سنة، وقد نقل ابن الجوزي في «صيد الخاطر»^(١) عن بعضهم قال: رأني شيخي وأنا قائم أتأمل حدّثًا (غلامًا) نصرانيًّا!! (وكان الغلام جميلًا). فقال: ما هذا؟! لتَرَيْنَ غِبَّهَا (أثرها وعاقبتها) ولو بعد حين!! فنسيت القرآن بعد أربعين سنة!!!

قال ابن الجوزي: واعلم أن من أعظم المحن: الاغترار بالسلامة بعد الذنب، فإن العقوبة تتأخر.

قال بعض المعتبرين: أطلقت بصري فيما لا يحل لي، ثم كنت أنتظر العقوبة، فأجئتُ إلى سفر طويل لانية لي فيه، فلقيتُ المشاق، ثم أعقبَ ذلك موتٌ أعز الخلق عندي، وذهاب أشياء كان لها وقعٌ عظيم عندي، ثم تلافيتُ أمري بالتوبة، فصلح حالي.

فأنت تقول عائدًا: يا رب نجّني من آثار الذنوب وعقوباتها. والمقام يضيق عن ذكر عقوبات الذنوب كلها، ويكفيك أن تقرأ كتاب «الداء والدواء» لابن القيم رَحِمَهُ اللهُ، فهو متخصص في

(١) «صيد الخاطر» لابن الجوزي ص (١٩٣)، ط دار الحديث بالقاهرة.

بيان البلاء الذي يترتب على الوقوع في الذنوب، ومن هذه الآثار والعقوبات:

موت القلب: فحينما تقول: يا رب أعوذ بك من شر ما عملت، أي: يا رب أعوذ بك من شر الذنوب التي تميمت القلب، يقول النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً؛ نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ؛ صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَغْلُوَ قَلْبُهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]» (١).

وهذا الحسنُ يسأله رجل قائلاً (٢): يا أبا سعيد إني أبيت مُعَافَى، وأحب قيام الليل، وأُعدُّ طُهورِي، فما بالي لا أقوم؟! فقال: «ذُنُوبُكَ قَيَّدَتْكَ».

وروي عن الثوري أنه قال: «حُرِّمْتُ قِيَامَ اللَّيْلِ خَمْسَةَ أَشْهُرٍ بِذَنْبِ أذْنِبْتَهُ!!»، قيل: وما ذلك الذنب؟ قال: «رَأَيْتُ رَجُلًا يَبْكِي، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَذَا مُرَاءٍ!!».

(١) (حسن) أخرجه الترمذي برقم [٣٣٣٤]، واللفظ له، وابن ماجه برقم [٤٢٤٤]، وأحمد برقم [٧٩٥٢].

(٢) انظر: «إحياء علوم الدين» (١/٣٥٦)، ط دار المعرفة - بيروت.

وقال أبو سليمان الدَّاراني: «لا تفوت أحدًا صلاة الجماعة إلا بذنب!!».

وقال بعضهم: «كم من أكلة منعت قيام ليلة، وكم من نظرة منعت قيام سورة، وإن العبد ليأكل الأكلة، أو يفعل فعلة؛ فيُحرم بها قيام سنة، وكما أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلاة وسائر الخيرات!!».

وقوله: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ»، أي: يسأل الله عزَّجَلَّ أن يجعل صفحاته المقبلة في مستقبله صفحات بيضاء لا معاصي فيها.

قال الفُضَيْل بن عِيَّاض لرجل ^(١): كم أتت عليك؟ قال: ستون سنة، قال: فأنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك، يوشك أن تبلغ؟! فقال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون! فقال الفضيل: أتعرف تفسيره؟ فَمَنْ عَرَفَ أَنَّهُ لِلَّهِ عَبْدٌ، وَأَنَّهُ إِلَيْهِ رَاجِعٌ، فليعلم أنه موقوف، ومن علم أنه موقوف، فليعلم أنه مسئول، ومن علم أنه مسئول فليُعِدَّ للسؤال جوابًا، فقال الرجل: فما الحيلة؟ قال: يسيرة، قال: ما هي؟ قال: تُحَسِّنُ فِيمَا بَقِيَ، يغفر لك ما مضى، فإنك إن أسأت فيما

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٨/١١٣)، ترجمة «الفضيل بن عياض».

بقي أُخِذَتْ بِهَا مَضَى وَمَا بَقِيَ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣].

فالمستقبل لا أحد يضمن نفسه فيه، وقد قال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقِطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُضْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا، وَيُضْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا» (١).

فالزم هذا التعود؛ لِتَوْمَنَ نَفْسِكَ مِنْ شَرِّ الْمَاضِي، وَتُحْصَنَ نَفْسِكَ مِنَ الْآتِي فِي الْمُسْتَقْبَلِ.



(١) (صحيح) أخرجه مسلم برقم [١١٨]، وأبو داود برقمي [٤٢٥٩]، [٤٢٦٢]، والترمذي برقمي [٢١٩٥، ٢١٩٧]، وابن ماجه برقم [٣٩٦١]، وأحمد بأرقام [١٠٧٧٢، ٨٨٤٨، ٨٠٣٠].

· ä â â · ã â

إن لكل شيء سيِّداً هو المقدم، وهو الذي يجمع خصال الخير كلها وهذا سيد التعوذات قد حوت فقراته درراً متنوعة، فقد روى البخاري وغيره عن شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «إِنَّ سَيِّدَ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أُبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، وَأُبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، فَاعْفُرْ لِي؛ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَإِنْ قَالَهَا حِينَ يُضْبِحُ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَإِنْ قَالَهَا حِينَ يُنْسِي مُوقِنًا بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» (١).

قوله: «مُوقِنًا بِهَا» يعني: مصدقاً من غير ريب، وعاملاً بالفرائض.

وقوله: «أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ»، موافق لقوله في الحديث الماضي: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمَلْتُ، وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ»، ومثله ما جاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يسكت بين التكبير وبين القراءة إسكاته، فقلت: بأبي

(١) (صحيح) سبق تخريجه ص (٣٨) هامش (٣)

وأمي يا رسول الله إسكاتك بين التكبير والقراءة ما تقول؟ قال:
 «أَقُولُ: اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ
 وَالْمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنَ الْخَطَايَا كَمَا يُنَقِّي الثُّوبَ الْأَبْيَضُ مِنَ
 الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ» (١).

ومعلوم أن فالنبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هو المعصوم، غفر
 الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، حفظه الله ورعاه وأدبه، وإنما هذا
 تعليم لنا كما قدمنا من قبل.

فأنت تسأل الله عَزَّجَلَّ أن ينجيك من الذنوب في المستقبل كما
 نجاك من ذنوبك الماضية التي تعلمها جيداً لا يعلمها أحد غيرك من
 الناس، وإن كنت قد نسيتها فقد أحصاها الله عليك.

ويمكن أن يكون معنى قوله: «وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ»، أي:
 أعوذ بك من شر ما عمل الآخرون.

فإن قيل: هل يمكن أن يعاقب الإنسان على ذنوب
 الآخرين؟!

(١) (متفق عليه) أخرجه البخاري برقم [٧٤٤]، واللفظ له، ومسلم برقم
 [٥٩٨]، وأبو داود برقم [٧٨١]، والنسائي برقمي [٦٠، ٨٩٥]، وابن
 ماجه برقم [٨٠٥]، وأحمد برقم [١٠٤٠٨].

فالجواب: نعم، قال الله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا فَتَنَةَ لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥].

وفي الحديث المتفق عليه عن زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - دخل عليَّ فزَعَا يقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيُلِّ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدْ اقْتَرَبَ!! فَتَحَ الْيَوْمَ مِنْ رَذْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلَ هَذِهِ»، وحلَّق بإصبعه الإبهام والتي تليها. قالت زينب بنت جحش: قلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟! قال: «نَعَمْ، إِذَا كَثَرَ الْخَبَثُ» (١).

حينما يكثر أهل الفجور، وتعلو أصواتهم، ويتفشى في الناس فجورهم، يهلك الله عزَّجَلَّ الناس جميعاً بمن فيهم من الصالحين، فإن كان الصالحون قد أنكروا المنكرات فإنهم يُقْبَضُونَ ويصيرون إلى رَوْحٍ وريحان، ورب راضٍ غير غضبان؛ لأنهم قد فعلوا ما عليهم: استقاموا في أنفسهم، ونهوا غيرهم عن المنكرات.

أما إن كانوا لم ينكروا المنكر على أصحابه فيعاقبون على عدم إنكارهم. وأما الفساق والفجار فيصيرون إلى غضب الله عزَّجَلَّ.

(١) (متفق عليه) أخرجه البخاري [٣٣٤٦، ٣٥٩٨، ٧٠٥٩، ٧١٣٥]، ومسلم [٢٧٨٠]، وابن ماجه [٣٩٥٣]، وأحمد [٢٧٤١٣، ٢٧٤١٤].

فمعنى قوله: «وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ»، يعني: أعوذ بك أن
تؤاخذني بذنوب الآخرين حين يعيشون في الأرض فسادًا.

أو أن معناه: أعوذ بك أن يفتري عليَّ أحدٌ، أو ينسب إليَّ زورًا
أو بهتانًا، فقد يتقول عليك متقول ويزعم أنك تفعل أمرًا منكراً أنت
منه براء.

وإن من الناس ناسًا كالشوك يسعون في تلطيح صورة البراءة
عند الأبرياء، كأن يقول عن أحدهم إنه زانٍ، مع أنه لم يزن!! أو
يتهم ابنته في عرضها كذبًا وبهتانًا، أو يقول إنه يأخذ الرشوة، أو
إنه يتعاطى المخدرات، ومثل هؤلاء الطاعنين على الناس يمقتهم
الله عزَّ وجلَّ، وهؤلاء هم الذين يلتمسون العنتَ للأبرياء، وقد توعد
الله عزَّ وجلَّ بالعذاب كل من ينسب إلى الناس ما لم يفعلوه، قال الله
عزَّ وجلَّ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا
فَقَدْ أَحْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

ويدخل في هذا المعنى: أن يُنسبَ إلى شخص فضلٌ لم يَحمِلْ
به، فربما نُسبَ إلى شخص عمَلٌ لم يَحمِلْ به، فبيتسم سرورًا لما جناه
من مدح على أمر لم يعمله!! فكما ترفض أن ينسب إليك أمر قبيح؛
فعليك أن ترفض أن ينسب إليك عمل جميل لم تعمله، وقل: لم أقم

بهذا العمل، ابحثوا عن عمله، فمن الناس من يجب أن تُنسب إليه الحسنات التي لم يعملها، ويفرح بذلك، وربما صدق هذه الكذبة، ومضى يخبر بجهود وهمية لم يقم بها!! قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٨٨].

فَمَنْ رَضِيَ أَنْ يُنْسَبَ إِلَيْهِ شَيْءٌ حَسَنٌ عَلَى أَنَّهُ عَمِلَهُ وَهُوَ فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ لَمْ يَعْمَلْهُ فَقَدْ ضَيَعَ جُهِدَ الْآخِرِينَ، وَاللَّائِقُ بِكَ أَنْ تَجْبِرَهُمْ أَنْكَ لَمْ تَعْمَلْهُ لِيَبْحَثُوا عَمَّنْ فَعَلَهُ وَيَكْرَمُوهُ هُوَ بَدَلًا مِنْ أَنْ يَكْرَمُوكَ عَلَى شَيْءٍ لَمْ تَفْعَلْهُ، قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَالْبَاسِ ثَوْبِي زُورٌ»^(١).

قوله: «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ»، اعتراف لله عَزَّجَلَّ وإقرار بالربوبية والألوهية والعبودية.

قوله: «وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ»، فقد عاهدنا ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى التَّوْحِيدِ وَعَلَى عِبَادَتِهِ وَحْدَهُ ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَیْ عَادَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [يس: ٦٠-٦١]، أي: أنا على عهد التوحيد.

(١) (متفق عليه) أخرجه البخاري [٥٢١٩]، ومسلم [٢١٣٠]، وأبو داود [٤٩٩٧]، وأحمد بأرقام [٢٥٣٤٠، ٢٦٩٢١، ٢٦٩٢٩].

«وَوَعْدِكَ»، أي: أنا مُصَدِّقٌ بوعد الجنة، مصدق بأنك تجزي بالإحسان إحساناً، تجزي الجنة للعاملين بالطاعات.

«مَا اسْتَطَعْتُ»، أي: يارب قَوِّنِي فَإِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْجِزَ الْأَعْمَالَ كُلَّهَا إِلَّا إِذَا أَعْتَنَيْتَنِي، كما قلنا من قبل في معنى «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»، قال عَزَّجَلَّ: ﴿فَأَنْقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

وقوله: «أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ»، أي: من الذنوب.

وقوله: «أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ»، أي: أَعْتَرَفُ وَأَقْرُ، فكلمة «أَبُوءُ» معناها: الاعتراف والإقرار مع لزوم هذا الاعتراف والإقرار، فقد يعترف الإنسان مرة أو مرتين، أو شهراً أو شهرين، ثم ينكر حينها يسأل بعد ذلك!

إِذَا فَأَنْتَ تَعْتَرِفُ لِلَّهِ عَزَّجَلَّ أَنَّ النِّعْمَةَ مِنْهُ، وَأَنْتَ مَلَاذِمٌ لِهَذَا الْاعْتِرَافِ لَنْ تُغَيِّرَهُ أَوْ تَنْكَرَهُ، فَالنِّعْمَةُ تَحْتَاجُ إِلَى شُكْرِ، وَالْعَبْدُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُؤْفِيَ النِّعْمَ حَقَّهَا مِنَ الشُّكْرِ، بَلْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُؤْفِيَ شُكْرَ نِعْمَةٍ وَاحِدَةٍ كَالْبَصْرِ، بَلْ هُوَ عَاجِزٌ عَنِ الشُّكْرِ.

«وَأَبُوءُ بِذَنْبِي»، أي: أَنْ نَعْمَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ عَلَيَّ كَثِيرَةً، وَتَحْتَاجُ كُلُّهَا إِلَى شُكْرِ، وَأَنَا لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُؤْفِيَهَا شُكْرَهَا.

فَأَنْتَ تَعُدُّ هَذَا الْعِجْزَ عَنِ شُكْرِ النِّعْمَةِ ذَنْبًا! وَهَذَا أَسْلُوبُ

راقٍ، وهو أن ينظر الإنسان إلى نفسه بعين العجز عن شكر ربه عَزَّوَجَلَّ، وأنه مهما عمل فلن يوفي النعم حق شكرها، فتقول: «أَبُوهُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوهُ بِذَنْبِي»، أي: اعترف بعجزني عن شكرك كما جاء عن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْأَثَرِ الْإِسْرَائِيلِي: «يَا رَبِّ كَيْفَ أَشْكُرُكَ، وَشُكْرُكَ نِعْمَةٌ تَحْتَاجُ إِلَى شُكْرٍ؟!» فقال: «الآن شكرتني». فالاعتراف بالعجز شكر.

ويمكن أن يكون معنى «وَأَبُوهُ بِذَنْبِي»، أي: المعاصي، فهو يقول: يا رب نعمك عليّ كثيرة، ما مَنَعْتَهَا عَنِّي رَغْمَ مَعْصِيَتِي لَكَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، لَمْ تَحْرَمْنِي رِزْقَكَ وَفَضْلَكَ، فَأَنَا أَتُوبُ مِنَ الذُّنُوبِ يَا رَبِّ.

وهذا كالأعرابي الذي تعلق بأستار الكعبة وأخذ يقول: «يا رب، إن استغفاري مع إصراري لؤم، وإن تركي الاستغفار مع علمي بسعة عفوك عجز، يا رب أدخل عظيم جرمي في عظيم عفوك».

لِنَلْزِمِ الاستغفار، فما من أحد منا إلا وله ماضٍ مع الذنوب والأوزار، وما من أحدٍ إلا وهو لا يَأْمَنُ مُسْتَقْبَلَهُ بِاللَّيْلِ أَوْ بِالنَّهَارِ، فعليك بالإكثار من قوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ، وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ» «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ



التَّكْوِينِ وَاللَّبَوِينِ

إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ،
أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنَفْسِي، وَأَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ
عَلَيَّ، فَاعْفُ عَنِّي؛ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ».



obeykendi.com

áââ · ã·ãã ã

إنه تعوذ نبوي مبارك نتعلم منه التحصن من خمسة شرور، كان النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يتعوذ منهن دُبْرَ كل صلاة، هي خمس تتعلق بالنفس والبدن، تتعلق بك، وتعلق بغيرك، تتعلق بذاتك، وتعلق بخارجك، تتعلق بالقوة العصبية، والقوة الشهوانية، هي خمس نحن أحوج ما نكون إليها في أيامنا هذه لنستعين بالله عَزَّجَلَّ على دفع ما يتعلق بها من الشر.

عن مصعب بن سعد وعمرو بن ميمون قالوا: كان سعد يعلم بنيه هؤلاء الكلمات كما يعلم المكتب العلمان، ويقول: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ يَتَعَوَّذُ بِهِنَّ دُبْرَ الصَّلَاةِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَعَذَابِ الْقَبْرِ». وفي رواية: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا» (١).

قوله: «دُبْرَ الصَّلَاةِ»، أي: قبل أن يُسَلِّمَ.

وقوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ»، الجبن: صفة نفسية تُنبئ عن ضعف في نفس صاحبها، والجبن يقابله الشجاعة.

(١) (صحيح) تقدّم تحريجه ص (٣٩)، هامش (١).

وقوله: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ»، البخل: صفة نفسية أيضاً تُنبئُ عن شحِّ صاحبها ويقابله السخاء، لأن الجود إما أن يكون بالنفس، أو يكون بالمال، فمن جاد بنفسه كان شجاعاً، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقِنُّونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

فمن لم يَجِدْ بنفسه ولم يكن شجاعاً في مواجهة الأعداء؛ كان جبناً، والجبين مذموم، ولذلك قال النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجَبَنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ».

وقوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجَبَنِ»: الجبِنُ: أنواع: فهناك جبِنٌ عند مواجهة العدو في الحرب، فيلقي السلاح عند المواجهة ويهرب، وهذا هو التولي يوم الزحف، وقد قال النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُؤْبَقَاتِ»، أي: المهلكات ثم ذكر منها: «وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ»^(١).

(١) (متفق عليه) أخرجه البخاري بأرقام [٢٧٦٦، ٥٧٦٤، ٦٨٥٧]، ومسلم برقم [٨٩]، وأبو داود برقم [٢٨٧٤]، والنسائي برقم [٣٦٧١].

وكذلك الجبن في الدعوة إلى الله تعالى، وذلك عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد تسنح لأحدنا فرصة يأمر فيها بمعروف، فيتخاذل ويتكاسل مع قدرته على الدعوة، فهذا جبن وتولٍ من ساحة الدعوة.

وكذلك من يرى زوجته أو ابنته متبرجة، أو يرى ولده على خطأ، فلا ينهاهم فهذا جبان؛ لأنه لم ينه زوجته عن المنكر، فما الذي يدفعه إلى الخوف منها؟ وكذلك المرأة التي تجبن عن نهي زوجها عن المنكر، كأن يكون شارباً للخمر، أو المسكرات، أو المخدرات، أو لا يصلي، أو يعق والديه.

لنكن من أهل الشجاعة في مواجهة عدونا من الكفار ساعة الجهاد، وفي مواجهة من يكون بعيداً عن الله لنقربه إليه، لكن بالرفق واللين، كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِمُوسَى وَهَارُونَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْسَ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَى﴾ [طه: ٤٤].

وقوله: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ»، وهذا الذي يدعو إليه الشيطان، قال الله عَزَّ وَجَلَّ عنه: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨]؛ فيوسوس الشيطان للإنسان ليحول بينه وبين الصدقة بأن يخوفه من

الفقر، ويقول له: «الذي يحتاجه البيت يحرم على المسجد! وأنت لا تدري ما يخفيه لك المستقبل! وقد انتشرت الأمراض والأوبئة وثقلت عليك مصاريف وأعباء الحياة..!!»، ويمضي الشيطان معك في وسوسته حتى تبخل، ﴿يَعِدُّكُمْ الْفَقْرَ﴾ إن أنتم أنفقتم ﴿وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ يعني: البخل، وفي الحديث: «مَا يُخْرِجُ رَجُلًا شَيْئًا مِنَ الصَّدَقَةِ حَتَّى يَفُكَّ عَنْهَا لِحَيِّ سَبْعِينَ شَيْطَانًا» (١).

والذي يبخل بالنعمة على عباد الله؛ فإن الله عزَّ وجلَّ قد ينزعها منه، وليس المراد بالبخل؛ البخل بالمال فقط، بل قد يكون البخل بالعلم، وبالنصيحة، وبالصحة، وبالمساعدة الاجتماعية، قال النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى أَقْوَامًا اخْتَصَّهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ، وَيُقْرَهُا فِيهِمْ مَا بَدَلُوهُا، فَإِذَا مَنَعُوهُا نَزَعَهَا مِنْهُمْ فَحَوَّلَهَا إِلَىٰ غَيْرِهِمْ» (٢).

(١) (رجاله ثقات) إلا أن الأعمش لم يسمع من ابن بريدة - فيما يظنه أبو معاوية في هذا الحديث - . انظر: «مسند أحمد» بتعليق شعيب الأرنؤوط [٢٢٩٦٢]، وأخرجه الحاكم في «مستدرکه» [١٥٢١]، وابن خزيمة [٢٤٥٧]، والبيهقي [٧٦٠٨]، والطبراني في «الأوسط» [١٠٣٤].

(٢) (حسن) أخرجه الطبراني في «الأوسط» برقم [٥١٦٢].

أي أن الله عَزَّجَلَّ أعطانا النعم لكي نقوم بشكر هذه النعمة، ونعطي منها من يستحق من عباد الله، فإذا أعطيت الناس من النعم التي عندك سواء كانت مالا، أو صحة، أو منصباً، أو كلمة مسموعة، أو حرفة، أو تعليم مهنة، أو نصيحة، أو مشورة - وهذه كلها نعم أعطها الله إيانا، فإذا بذلتها للناس - أقرها الله لك وزاد منها، وثبتك فيها، وأما إذا منعت الناس من الاستفادة من النعم التي أعطاكها الله عَزَّجَلَّ وهم محتاجون إليها؛ نزعها الله منك وأعطها لمن يشكرها ولا يبخل بها.

بل إن انتشار البخل من علامات الساعة، وتعليمه كذلك، قال النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَتَظْهَرُ الْفِتْنُ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ» قالوا: أَيْمَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قال: «النَّقْلُ، النَّقْلُ» (١).

والشُّحُّ أعم من البخل، فالبخل يكون بالمال، وأما الشح فيكون بالمال وغيره، ومن نجاه الله من الشح والبخل فهو من المفلحين، قال عَزَّجَلَّ: ﴿وَمَنْ يُوقِ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

(١) (صحيح) أخرجه البخاري برقم [٩٨٩]، وابن ماجه برقم [٤٠٤٧]، وأحمد بأرقام [٧١٨٦، ٨١٣٥، ١٠٧٩٢، ١٠٩٥٥] بألفاظ متقاربة.

فمن علامات الساعة: أن يُلقى الشُّح؛ أي: ينتشر بين الناس البخل بما عندهم، أو يُلقَى الشح، أي: يُعَلِّمَ الوالدُ ولده، والأستاذُ تلميذه، والمعلِّمُ المتعلِّمَ، يعلمون أتباعهم البخل بالعلم.

ففي الدروس الخصوصية مثلاً يذهب التلاميذ إلى المدرس فيوصيهم ألا يخرجوا معلومة! مع أن هناك من لا يستطيع الالتحاق بمثل هذه الدروس، ويحتاج إلى هذه المعلومة.

فالعلم عندنا للنشر وليس للاحتكار، وحينما ينتشر الشح ويتواصى الناس بكتم العلم عن الآخرين؛ حينئذ يموت العلم ويضيع مجتمع المسلمين.

قوله: «وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمَرِ»، أَرْدَلِ العمر على أنواع متعددة منها:

الْحَرْفُ، وهذا يصيب الإنسان في آخر حياته فلا يعقل شيئاً. ومنها: ضعف القوة، فيضعف سمعه وبصره، ولا تحمله قدماه، بل إما أن يقعد أو يُحْمَل، وتصيب يديه رعشة لا يستطيع معها أن يمسك بشيء، ويتلعثم في الكلام.

أو أَرْدَلِ العمر: أنه لا يستوعب ما يُقال له.

والمعنى: اللهم متعني بسمعي، وبصري، وعقلي، وقلبي،
ويدي، ورجلي، وقوتي إلى آخر عمري.

وهذه سنة الحياة ضعف ثم قوة ثم ضعف وشيبة، قال الله
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ
جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾.
[الروم: ٥٤].

فأنت تتعوذ بالله من أن تُرَدَّ إلى أرذل العمر حتى تكون طائعاً
إلى آخر لحظة في حياتك، ولا يضجر منك أولادك أو جيرانك، بل
تموت قريراً العين، مؤدياً فرض ربك، وحتى لا تكون عالة على
غيرك، أو مكروهاً عند أهلك وأولادك فيتعجلون موتك؛ لأنك قد
أصبحت في أرذل العمر!!

إن نبينا الأنور - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كان حريصاً علينا
حرصاً لا نجده في آبائنا وأمهاتنا؛ بدليل أنه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
علمنا التَّعَوُّذَ مِنْ أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ تَشْمَلُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، وَالْحَيَاةَ وَالْمَمَاتَ،
وَالْحَاضِرَ وَالْمُسْتَقْبَلَ، وَالْأَحْوَالَ النَّفْسِيَّةَ وَالْبَدْنِيَّةَ، وَالْعَوَارِضَ
وَالطَّوَارِقَ وَالطَّوَارِقَ، فَالتَّعَوُّذَاتُ النَّبَوِيَّةُ تَشْمَلُ كُلَّ شَيْءٍ.

فقوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمْرِ» قد عرفنا ما يتعلق به، لكن بقي أن نقول: إن هذه الجملة يقابلها أن تسأل الله عَزَّجَلَّ أَنْ يَمْتَعَكَ بِسَمْعِكَ وَبَصْرِكَ، فتقول: «اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَاتِنَا أَبَدًا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا».

فالسمع والبصر عليهما مُعْتَمِدُ الحياة، وأما القوة فعليها النشاط والحركة في الحياة، والمعنى: يا رب متعني بكامل قوتي وصحتي وعافيتي إلى أن أموت.

وليس معنى هذه الجملة سؤال الله عَزَّجَلَّ دفع سوء الكبر فقط، بل معناها أن تسأل الله عَزَّجَلَّ أَنْ يُوَفِّقَكَ إِلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي تَضَخُّ الْبُرْكَهَ فِي جَسْمِكَ؛ فَإِذَا فَعَلْتَ الطَّاعَاتِ فِي شَبَابِكَ فَهَذَا بِمِثَابَةِ التَّأْمِينِ عَلَى أَعْضَائِكَ.

فيا أيها الشابُّ الناظر إلى الحرام يمنة ويسرة! أيها الشابُّ المستمع إلى الأغاني الهابطة! أيها الشابُّ المستهلك قوته في العادة السيئة، أو الزنا، أو إيذاء الخلق! اعلم أنه سيأتي عليك يوم تبكي فيه وتقول: قوتي وعافيتي ذهبا عني!

لو حافظت على عينك وسمعتك وقوتك في شبابك وجدتها عند كبرك، ولن تُرَدَّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمْرِ، فيراك الرائي وأنت ابن تسعين

سنة فيظنك ابن ثلاثين! وهكذا قال النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
 هذه المعادلة النبوية لابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وكان رديفًا للنبي - صَلَّى اللهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على حمار، فقال له: «أَحْفَظُ اللهُ يَحْفَظُكَ» (١).

احفظ الله في شبابك، احفظ الله في سمعك وبصرك، يحفظك
 الله - تعالى - في حال كبرك.

كان أبو الطيب الطبري قد جاوز المائة سنة وهو مُتَمَعِّقٌ بقوته
 وعقله! فوثب يوماً وثبة شديدة من سفينة اقتربت من مرساها!
 فعوتب في ذلك، فقال: «هذه جوارح (أعضاء) حفظناها عن
 المعاصي في الصغر، فحفظها الله علينا في الكبر».

وقد عَلَّمَنَا علماءنا كلمة جميلة تقال للشباب الذين يصرفون
 شهوتهم في الحرام، وهذه الكلمة هي: «أَحْفَظُ مَنِيَّكَ؛ فَإِنَّهُ مُخٌّ
 سَاقِيكَ، وَنُورُ عَيْنَيْكَ».

وقد أثبتت الدراسات المعاصرة أن الذي يحفظ القرآن في صغره
 ينجيه الله تعالى من أرذل العمر! والجزاء من جنس العمل؛ فكما
 حفظت القرآن يحفظ الله عَزَّوَجَلَّ خلايا مُخِّكَ فلا يصيبك أرذل العمر.

(١) (صحيح) أخرجه الترمذي برقم [٢٥١٦]، وأحمد بأرقام [٢٦٦٩]،
 [٢٧٦٣، ٢٨٠٣].

قوله: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا»، أي: الحياة.

والفتنة: الابتلاء، والاختبار، والامتحان، ويمكن أن يسقط المرء ويفتن فلا يتجاوز الامتحان.

وفتنة المحيا قسمان لا ثالث لهما: الشهوات، والشبهات.

فالشهوات: مثل المال، ومثل الشهوة الجنسية، وما شابهها.

والشبهات: مثل البدع، والشرك، والكفر، ومثل الضلالات الكفرية المعاصرة؛ كالتيارات والمذاهب والفلسفات المعاصرة، مثل: العلمانية، والليبرالية، والشيوعية، والماركسية، واليسارية، وسائر الأهواء المضلة.

وفتنة الشهوات: أن يتصرف الإنسان في شهواته بالحرام، ويتضح ذلك بمثال؛ وهو: إنزال المنى، فإنه ليس لإنزال المنى إلا موضعان: الزوجة، أو ملك اليمين - وهن الإماء والجواري، ولا وجود لهن الآن - فتبقى الزوجة موضعاً للشهوة المباحة، فإذا لم يستطع المسلم الزواج؛ فليصبر بالصيام، وملازمة طاعة الله عزَّجَلَّ، وأن يقول كما يوسف عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴾.

[يوسف: ٣٣].

فلا بد من وضع هذا المنى في الحلال، أما من يستخدم هذه الشهوة في الحرام فإنه يزني أو يقع في الشذوذ، أو العادة السيئة، وعلى ذلك فالمعنى: أعوذ بك أن أرتكب الشهوات فيما حرمت عليّ.

أو أن المعنى: استخدام الشهوات المباحة بالقدر الزائد عن الحاجة، وهو الإسراف.

فالأكل والشرب شهوة حلال، لكن نأكل ونشرب كما قال - تعالى -: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ . [الأعراف: ٣١].

وهذه الشهوات التي ابتلى الله عزَّجَلَّ بها عباده هي كما قال - تعالى -: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾ ، أي: المعلمة، ﴿ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴾ [آل عمران: ١٤].

والنجاة من فتنة الشبهات: ألا يتبع المسلم أصحاب الضلالات الكفرية الذين يهدمون دين الله عزَّجَلَّ، وهؤلاء هم الذين قال الله عزَّجَلَّ فيهم: ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [فاطر: ٨].

وانظر إلى هذا الرجل الذي كان من أتباع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، لكنه فُتِنَ في حياته وَاتَّبَعَ شهواته، فشبَّهَهُ اللهُ عَزَّجَلَّ بِالْكَلْبِ!! لأنه ترك ما أعطاه اللهُ من النعم، ورضي بمتابعة الهوى السيئ: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦].

وقد قال النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «بَادِرُوا فِتْنًا كَقِطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا» (١).

قوله: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَمَاتِ»: وهذه الفتنة - فتنة الممات - تشمل حالين: ساعة الموت، وما بعدها.

والمعنى: يارب إذا جاءني ساعة الموت، وحن وقت خروج الروح، وجاءني رسلك ليتوفونني فثبتني على الإيثار، وعلى قول: «لا

(١) (صحيح) سبق تخريجه، ص (١٧٥)، هامش (١).

إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» المذكور في قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

فتتعوذ بالله من أن تموت كافراً، أو عاصياً، أو فاسقاً، أو فاجراً، أو على غير توبة.

والشيطان يأتي الإنسان عند موته - نسأل الله أن ينجينا من مكره وكيده - فيقول له: «مت يهودياً، مت نصرانياً، مت مجوسياً!!»، فمن قال: «لا إله إلا الله» وعمل في حياته بمقتضاها إلى أن أتاه الموت؛ فإنه يُوفَّق إلى قول ما كان يحيا عليه، وَيُسَدِّدُهُ اللَّهُ وَيَلْهَمُهُ رُشْدَهُ.

أما من كان غافلاً، لا هثاً وراء شهواته، مع تكاسله عن الصلاة، أو تركه لها، ولا يقرأ القرآن، فهل يُنتَظَرُ لمن هذه حاله أن يقول: «لا إله إلا الله» عند الموت؟! يا ربِّ تَبَّتْنَا.

وفتنة الممات: القبر، وهو أول منازل الآخرة، فهل فَكَّرْتَ في أول ليلة في قبرك كيف هي؟ فالقبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار!

هل فكرت في الأسئلة التي ستسأل عنها في قبرك؟ ستسأل عن

ثلاثة أمور: مَنْ رَبُّكَ؟ ما دينك؟ مَنْ النَّبِيُّ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟

فأما المؤمن الطائع فإنه لن يُفْتَنَ؛ لأنه كان يتعوذ من فتنة المحيا

والممات، وظل حياته يعمل بمقتضى «لا إله إلا الله»، فيقول بلسان ذلق

طلق فصيح: «ربي الله، وديني الإسلام، ورسولي محمد - صَلَّى اللهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، على ذلك عشت، وعلى ذلك مت»، فيقال له: نم،

فينام نومة العروس، لا يوقظه إلا أحب أهله إليه، ويوسع له في قبره

مدَّ بصره، ويُفَرِّشُ له من الجنة، فيظل يقول: رب أقم الساعة، رب

أقم الساعة، فإذا كان هذا النعيم في القبر فكيف بنعيم الجنة؟!

ولا يظنُّ أحدٌ أن الإجابة على هذه الأسئلة يسيرة! وإنما

ليسيرة على من يسَّرَ الله له ممن عمل في الدنيا بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ،

قال - تعالى - : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَكَّى ۝٥ وَصَدَقَ الْحَسَنُ ۝٦ فَسَيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ۝٧ ﴾

[الليل: ٥-٧]، أي: للخاتمة الحسنة، والإجابة على سؤال الملكين،

ودخول الجنة، ﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغَفَى ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحَسَنَى ۝٩ فَسَيَسِّرُهُ

لِلْعُسْرَى ۝١٠ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ۝ ﴾ [الليل: ٨-١١].

فأقبل على نفسك، واهتم بشأنك، فقد قال النبي - صَلَّى اللهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ

عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَا فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ،
وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ»^(١).

إنها فتنة لا ينجو منها إلا من استعاذ بالله وعمل صالحًا، وكان
من المتقين لله رب العالمين.



(١) (حسن) أخرجه الترمذي برقم [٢٤١٧]، والدارمي برقم [٥٣٩]،
والطبراني في «الكبير» برقم [١١١].

ä ä â ä ä · ä ä ä

حرص النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على الصلاة في جوف الليل الآخر، ونقل لنا بعض أصحاب النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنه كان يدعو الله عَزَّجَلَّ بهذا التَعَوُّذِ في صلاة الوتر أحياناً، وهو تَعَوُّذٌ ينبغي أن نعيش معه في جوف الليل، وإن كان هو على الإطلاق بالليل أو النهار، وقد ورد عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من حديثين:

الأول: حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «فقدت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ليلة من الفراش، فالتمسته، فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان، وهو يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ» (١).

الثاني: حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كان يقول في آخر وتره: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَأَعُوذُ بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ» (٢).

(١) (صحيح) سبق تخريجه، ص (٣٩)، هامش (٢).

(٢) (صحيح) أخرجه الترمذي برقم [٣٥١٩]، وابن ماجه برقم [١١٦٩]، وأحمد برقمي [٧٣٢، ٩٣١].

فالنبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يستعيد بصفات الله عَزَّجَلَّ وأفعاله، ويستعيد بالله الواحد الأحد - بذاته العلية - أن ينجيه من المساخط ومن العقوبات والبليات والشُرور كلها.

قوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ»: هل يُتَصَوَّرُ في حق النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أن يصيبه سَخَطٌ؟! بالطبع لا.

إذاً فلماذا يستعيد برضا الله عَزَّجَلَّ من سخطه، وبغفوه من عقوبته، وبرحمته من عذابه؟

١- لِيُعَلِّمَنَا. فهو المعلم للأمة.

٢- كأنه يسأل لنا. فهو نبي الله ورسوله، ودعوته مستجابة.

٣- أو هو سؤال افتقار إلى الله.

فكأن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: يا رب أُمَّتِي العقوبة، وأُمَّتِي السخط، وأُمَّتِي العذاب، إلا أنني أدعوك، وأستعيد برضاك، وأستعيد برحمتك، وأستعيد بعفوك، شاكرًا لك يا رب العالمين!!

قوله: «أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ»: فالله عَزَّجَلَّ يرضى عن عباده المؤمنين، ويسخط على عباده العاصين، إذاً تقول: اللهم إني

أعوذ بك أن أعمل عملاً يستوجب سخطك، فالله عَزَّجَلَّ لا يرضى عن أهل المعاصي: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٦].

فكأنك تقول: اللهم إني أعوذ بك أن أقع في الفسوق، أو أغشى الفجور، أو أقول الزور، أو أن أتكاسل عن الحق الذي أوجبه عليّ.

وقوله: «وَأَعُوذُ بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ»: معافاة الله عَزَّجَلَّ لك أن يأتي على ذنبك فيستره ويزيل آثاره ويمحو ما يترتب عليه، يقال: عفت الريح الأثر؛ أي: أزال آثار القدم، والمعنى: يا رب إذا فعلت الذنب فاستره عليّ، وإذا سترتني فتجاوز عني، وإذا تجاوزت عني فلا تعاقبني بعظيم جرّمي يا رب العالمين.

وكانك حينما تقول ذلك إنما تستعيد بالله من الوقوع في الذنب؛ لأن الذنب يستوجب العقوبة، فكأنك تقول: اللهم اعصمني من الذنوب ابتداءً فلا أقع فيها، فإذا وقعت فيها فاحفظني من آثار الذنوب، وأثر الذنوب: العقوبة.

ويكيفك أن تعلم أن من عقوبات الذنوب: أن ينسى العاصي نفسه، كما قال الله - تعالى -: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]،

وقال: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ﴾ [الحشر: ١٩].

فيصير هذا العاصي لا يعبأ بحاله لا في الدنيا ولا في الآخرة من حيث طاعة الله عَزَّجَلَّ، وما يقربه منه.

وقوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ»، هذا هو الفرار إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَمَا قَالَ عَزَّجَلَّ: ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الذاريات: ٥٠]، والمعنى: أفرُّ إليك يا رب.

والفرار إلى الله عَزَّجَلَّ من كل ما يصرفك ويصدك عنه، أو يوقعك فيما يغضبه، ولا بد للعبد أن يَفِرَّ إلى الله في كل يوم وليلة.

والفرار نوعان: فرار إلى الله - تعالى -، وفرار إلى رسوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وهو الهجرة إلى الله تعالى ورسوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؛ وهذا مطلوب من المؤمن في كل يوم.

أما الهجرة إلى الله تعالى: فهي هجرة الطلب؛ أن تطلب الله عَزَّجَلَّ في المساجد، ودروس العلم، وصلة الرحم، وفي إتقان العمل، وكفِّ الأذى عن الناس، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، اطلب الله عَزَّجَلَّ في دعائك، في الابتهاج إليه، والتوكل عليه، في الصدق معه، في الإنابة، في الإخبات، في التفويض، فهذه هي الهجرة إلى الله.

أما الهجرة إلى الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : فهي هجرتك إلى سُنَّتِهِ، أن تكون حركاتك وسكناتك، وظاهرِك وباطنك، وأقوالك وأفعالك، أن تكون حياتك كلها على منهج رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .

وقوله: «لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِيكَ»: فما من إنس ولا جن إلا وهو يريد أن يحصد خيراً لنفسه، أو يدفع شراً عنها، وقد يحتاج إلى مُعِينٍ يُعِينُهُ على تحقيق الخير وتحصيله، وقد يحتاج إلى معين يستعين به، وَيَتَّقَوَّى به على دفع الشر والضرر.

فأما ما تحبه من الخير فلا يعينك عليه إلا الله. وأما ما تكرهه من الشر والضرر فلا يحيمك منه إلا الله عَزَّجَلَّ.

فأنت تقول: أعوذ برضاك، أعوذ بمعافاتك، أعوذ برحمتك، أي: أطلب رضاك، ورحمتك، وعفوك.

إِذَا أَنْتَ طَائِعٌ لِلَّهِ عَزَّجَلَّ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فِي السَّرِّ وَالْعَلَنِ، وَاللَّهُ عَزَّجَلَّ يَعِينُكَ؛ فَتَسْتَعِينُ بِهِ عَزَّجَلَّ، وَتَسْأَلُهُ أَنْ يُوَفِّقَكَ لِرِضَاهُ وَطَاعَتِهِ، وَأَنْ يَهْدِكَ لِسَوَاءِ السَّبِيلِ.

وتخاف من سخط الله وعقوبته وعذابه، فتقول: يا رب احمني، واحفظني، ونجني من سخطك وعقوبتك وعذابك، كما قال النبي

- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «لَا مَلْجَأَ، وَلَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ» (١)؛
إذ لا مهرب لك من الله عَزَّوَجَلَّ، ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [التكوير: ٢٦].

انظر إلى الثلاثة الذين تخلفوا عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في غزوة تبوك من غير عذر، واعترفوا بخطئهم، وأرادوا أن يتوبوا، وأمر النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أهل المدينة بمقاطعتهم حتى نساءهم، ونهى أن يكلمهم أو يتعامل معهم أحد إلا واحدا منهم كان مريضا فأذن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لزوجته أن تُرَضَّهُ فقط.

لقد فرَّ هؤلاء الثلاثة إلى الله تعالى فتاب عليهم، وأنزل في شأنهم قرآنا يتلى إلى يوم القيامة: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٧-١١٨].

(١) (متفق عليه) أخرجه البخاري [٢٤٧، ٦٣١١، ٦٣١٣، ٦٣١٥، ٧٤٨٨]، ومسلم [٢٧١٠]، وأبو داود [٥٠٤٦]، والترمذي [٣٣٩٤، ٣٥٧٤]، وابن ماجه [٣٨٧٦]، وأحمد [١٨٥١٥، ١٨٥٨٧، ١٨٦١٧، ١٨٦٥١، ١٨٦٥٤].

فَفَرُوا مِنَ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، فَارُوا مِنْ سَخَطِ اللَّهِ إِلَى رِضَاهِ، وَمِنْ عَقُوبَةِ اللَّهِ إِلَى عَفْوِهِ، وَمِنْ عَذَابِهِ إِلَى رَحْمَتِهِ، فَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ.

فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يِنَالَ رِضَا اللَّهِ فَلْيَعْمَلْ بِمَا يَرْضَى اللَّهُ؛ فَإِنَّ لِلْمُؤْمِنِ رِضَاءَيْنِ، فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ:

رِضَا الدُّنْيَا: أَنْ يَكُونَ صَدْرُهُ مَنْشَرًا بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ، قَالَ - تَعَالَى -: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١]، وَقَالَ - تَعَالَى -: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢].

وَرِضَا الْآخِرَةِ: أَنْ يَدْخُلَ اللَّهُ تَعَالَى عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ جَنَّةَ النِّعَمِ، وَيَجْلُ عَلَيْهِ رِضْوَانَهُ الْأَكْبَرَ، قَالَ - تَعَالَى -: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧١-٧٢].

وَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «إِنَّ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ،

فَيَقُولُ: هَلْ رَضَيْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تَعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ؟! فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أَحِلَّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا» (١).

فعليك أن تفر من غضب الله إلى عفوهِ، ومن سخطه إلى رضاه، ومن معصيته إلى طاعته، وأن تُثْنِيَ عليه بالليل والنهار، وتقول: «أَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ».



(١) (متفق عليه) أخرجه البخاري برقمي [٦٥٤٩، ٧٥١٨]، ومسلم برقم [٢٨٢٩]، والترمذي برقم [٢٥٥٥]، وأحمد برقم [١١٨٣٥].

أَعْبَادُ اللَّهِ

لا غنى لنا عن هذه التعوذات كلها، داخل بيوتنا وخارجها، في بلادنا وفي أسفارنا، في الصحة والمرض، في الرخاء والشدة، في السر والعلن، في الليل والنهار، في البر والبحر، أي أن: التعوذات - كما قدمنا من قبل - تشمل الحياة كلها، بل تشمل الحياة والمات؛ لأن الإنسان يخاف من المستقبل المجهول، يخاف من الخطوة التي لا يعرف ما بعدها؛ لأنه لا يعلم الغيب.

فلماذا تخاف وربُّكَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَحْفَظُكَ وَيَحْمِيكَ، ونبيك - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يعطيك ما تستطيع به أن تأمنَ على نفسك وحوالك ومكانك ومالك وأهلك وولدك؟!!

وتعويدتنا التي نحن بصدد شرحها هي تعويذة الأماكن والبلاد، يمكن أن نقولها في سفر، أو أي مكان تنزله، سواء كان مطعمًا، أو منزلًا، أو مزرعة، أو مدرسة، أو وسيلة مواصلات.... إلخ، فهي تعويذة الأماكن والبلاد.

ووردت هذه التعويذة في حديثين:

الحديث الأول: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رجلاً من أسلم قال: لَمَّا نمت هذه الليلة، لدغني عقرب، فقال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «أَمَا لَوْ قُلْتِ حِينَ أُمْسَيْتِ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ؛ لَمْ يَضُرَّكَ» (١).

فإذا دخلت فندقًا لا تدري ما فيه، فربما كان فيه البراغيث التي تنقل الطاعون، فأنت لا تدري ما فيه؛ فتقول هذه التعويذة لينجيك الله عَزَّجَلَّ من شره، وهذا البرغوث كائن صغير نضحك حينما نسمع اسمه لكن ضرره كبير!!

الحديث الثاني: عن خولة بنت حكيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا نَزَلَ مَنْزِلًا قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ؛ لَمْ يَضُرَّهُ فِي ذَلِكَ الْمَنْزِلِ شَيْئٌ حَتَّى يَرْتَجِلَ مِنْهُ» (٢).

والمنزل هنا ليس بمعنى: المسكن، أو البيت، وإنما هو بمعنى المكان الذي تنزل فيه؛ كالقطار، أو السيارة التي تركبها، أو حديقة الحيوان، أو المزرعة، أو المعمل، أو الأستديو، أو العيادة،... إلخ، كل هذا يسمى منزلًا.

(١) (صحيح) سبق تخريجه ص (٣٩)، هامش (٣).

(٢) (صحيح) تقدّم تخريجه في نفس موضع الذي قبله.

إِذَا قُلَّ فِي كُلِّ مَكَانٍ تَنْزِلُهُ: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ»؛ تأمن شر الجن في هذا المكان، وشر الإنس، وشر التلوث، وشر الميكروبات، وشر كل شيء يمكن أن يصيبك في دينك، أو في نفسك، أو أهلك، أو مالك.

ولدينا تعويذة تتعلق بدخول القرى أو المُدن، كأن تكون من القاهرة وتسافر إلى الإسكندرية، أو من مصر وتسافر إلى السعودية، سواء كنت متنقلاً من بلدك إلى بلد آخر، أو العكس، فأنت ذاهب إلى بلد أنت غريب عنها، ولا تعرف أحداً فيها، ولا تعرف ما فيها من خير أو شر، فتستعيذ بالله تعالى من شر ما فيها ومن فيها.

وفي الحديث الذي صححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ عَنْ صَهِيبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ صَاحِبِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَدَّثَ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَم يَرِ قَرْيَةً يَرِيدُ دُخُولَهَا إِلَّا قَالَ حِينَ يَرَاهَا: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ، وَرَبَّ الْأَرْضِينَ السَّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنَ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضَلَّنْ، وَرَبَّ الرِّيَّاحِ وَمَا ذَرَيْنِ، إِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ، وَخَيْرَ أَهْلِهَا، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ أَهْلِهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا» (١).

(١) (صحيح) تقدّم تخريجه ص (٤٠)، هامش (١).

فإذا كنت داخلًا بلدًا لقضاء مصلحة، أو لقضاء رحلة سياحية - شرط أن تكون في طاعة - أو رحلة تجارية أو علاجية، فلتقل هذا الدعاء ليسر الله لك أبناء الخير وأعوانه، ويكف عنك ذوي الشرور؛ سارقًا كان أو محتالًا أو مجرمًا أثيمًا ممن يريد سفك دمك، أو أخذ مالك، أو هتك عرضك؛ فيكون الذئب الضاري كالقط بين يديك، وأما الصالحون فتراهم يتوجهون إليك يسألونك كأنهم رأوك من قبل، ويتوسَّمون فيك الخير، فيحبب الله عزَّجَلَّ فيك صالحِي هذا البلد، ويُبَعِدُ عنك مفسديها.

وقوله: «أَقْلَنَ»، أي: حملن على ظهرها.

وقوله: «وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضَلَّنَ»، أي: أعوان الشياطين الذين أضلَّتْهم الشياطين من الإنس؛ فصاروا من أعوانهم.

وقوله: «وَرَبَّ الرِّيَّاحِ وَمَا ذَرَيْنَ»، أي: وما تحمله أثناء هبوبها.

ومن الأماكن التي لا انفكاك لك عن دخولها، بل لا بد من دخولها شئت أم أبيت: دورة المياه. فهل تتذكر الاستعاذة الخاصة بها قبل دخولها؟ لا بد أن تتبها لها إذ كثيرون هم من ينسونها، فلا بد أن نتعلمها ونُعَلِّمَهَا أبناءنا، فندخل دورة المياه بالقدم اليسرى

ونقول: «بِسْمِ اللَّهِ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ»^(١).

قوله: «وَالْخُبْثِ» - بضم الخاء والباء - : جمع خبيث، وهي ذكور الشياطين.

وقوله: «وَالْخَبَائِثِ»: جمع خبيثة، وهي إناث الشياطين.

أو «الْخَبَائِثِ» من الْخُبْثِ - بسكون الباء -، يعني: من الشر والأذى.

والخبائث يعني: الأكلات المسمومة، فقد تأكل الأكلة تحتوي على «هرمونات مسرطنة» وأنت لا تعلم!!

فبعض أصحاب المزارع قلوبهم ميتة، حتى إن بعض أصحاب المزارع السمكية يضعون لها هرمونات تفسد الصحة.

وكذلك الألوان الصناعية غير المعترف بها، أو الزائدة عن المطلوب، مما يُضاف إلى المطعومات والمشروبات!!

فأنت تقول: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ» يعني: أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الْأَكْلَاتِ أَنْ تُحْتَبَسَ فِي بَدَنِي وَلَا تَتَصَرَّفَ، إِذْ هَذِهِ

(١) (متفق عليه) أخرجه البخاري [١٤٢، ٦٣٢٢]، ومسلم [٣٧٥]، وأبو داود [٤، ٦]، والترمذي [٥]، والنسائي [١٩]، وابن ماجه [٢٩٦]، [٢٩٨]، وأحمد [١١٩٤٧، ١١٩٨٣، ١٩٢٨٦، ١٩٣٣٢].

الفضلات لو حُبِسَتْ في الجسم فإن الجسم يتضرر تضرراً كبيراً.

فتقول: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخُبْثِ» يعني: من السم الذي في بدني،
يا رب أعني على هذا إخراجِه.

والمعنى: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ» يعني: من الشر
الذي في بطني، «وَالْخَبَائِثِ» يعني: الأكلات المسمومة.

«وَالْخَبَائِثِ»: الميتة، والدم، ولحم الخنزير، والأشياء الضارة
كلها، فأنت تستعيد بالله من الأكل أن يكون فاسداً فيؤذيك، ومن
شر عدم الإخراج لهذه الفضلات.

وقد قال الله عَزَّجَلَّ واصفاً النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:
﴿وَيُحَدِّثُ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وإذا لم تكن تعلم قيمة هذه المسألة وهي القدرة على إخراج
الفضلات من الجسم - رغم أنها نعمة - فَسَلِّ من يعانون من مشاكل
في الجهاز الهضمي، ومن يعانون من مشاكل في الإخراج - نسأل
الله أن يشفينا ويشفي مرضى المسلمين، ويعافينا ويُعافي مرضى
المسلمين - فهؤلاء المرضى ينفقون أموالهم كلها من أجل أن تستقيم
لهم بطونهم، وتصحَّ لهم أبدانهم.

وعند الخروج من دورة المياه تقول: «غُفْرَانُكَ» (١):

لماذا نقول هذه الكلمة؟ هل كنت تقترف معصية؟!

إن التخلي - أي: دخول دورة المياه - شيء طبيعي لا بد للإنسان أن يقوم به، فتقول: «غُفْرَانُكَ» يعني: اللهم قد أقدرتني على استساغة الطعام، وابتلاعه، وتذوقه، والتلذذ به، وأقدرت جسدي على أن يمر الطعام فيه بسهولة ويسر، ومن غير صعوبة، وأقدرت المعدة على هضمه، وأقدرت الجسم على أن يستفيد مما فيه من غذاء، وأقدرت جسمي على طرده هذه الفضلات والتخلص منها، اللَّهُمَّ إِنَّ هَذِهِ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ تَسْتَحِقُّ أَنْ أَشْكُرَكَ عَلَيْهَا، وَأَنَا مُقَصِّرٌ لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُوَفِّيكَ حَقَّ الشُّكْرِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، فَاغْفِرْ لِي تَقْصِيرِي هَذَا !!

فأنت تستعيد بالله ليلاً ونهاراً، داخل محافظتك، أو بلدك، أو خارجها، فتقول: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ»، ولن يضرك شيء مما خلقه الله من الجن والإنس والهوام (٢).



(١) (صحيح) أخرجه أبو داود برقم [٣٠]، والترمذي برقم [٧]، وابن ماجه برقم [٣٠٠]، وأحمد برقم [٢٥٢٢٠].

(٢) الحشرات والفيروسات والميكروبات وكل مُفْسِد.

عَآءَ . آءَ . آءَ

تعويذة جديدة من تعوذات النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ،
وهذه التعويذة خاصة بحال السفر فهي تعويذة السَّفَرِ .

فَمِنَّا من يسافر للحج أو العمرة، ومنا من يسافر للدراسة،
ومنا من يسافر للتجارة، ومنا من يسافر للسياحة المباحة، ومنا من
يسافر للعلاج، ومنا من يسافر لصلة الرحم، فأنت تحتاج إلى السفر
لقضاء حوائجك، وصلة أهلك وإخوانك، وأداء ما افترض الله
عَزَّجَلَّ عليك في هذه المرحلة التي تسافر فيها.

وقد توجد الأخطار والأضرار بالليل أو النهار خلال سفرك،
فأنت على طريق سفر كما يقولون، قطار، أو سيارة، أو سفينة، أو
طائرة، أو أي وسيلة تستخدمها.

فأنت تحتاج إلى أن تُؤمِّنَ نفسك من أخطار الطريق، ومن
أخطار وسائل المواصلات، ومن أخطار رُفقاء السفر، فقد يجمعك
السفر على طريق واحد ببعض الأشرار، وأنت لا تدري حقيقتهم إذ
إنهم يتلونون كما تتلون الحرباء، فالذي يُؤمِّنُكَ شرهم تعويذة السفر
بفضل الله - تعالى - .

فلا تنس أن توصي ولدك وإخوانك أن يقولوها عند كل سفر.

عَنْ عَلِيِّ الْأَزْدِيِّ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ عَلِمَهُمْ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ، كَبَّرَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنْ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا، وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعَثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ، وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ»، وَإِذَا رَجَعَ قَالَهُنَّ، وَزَادَ فِيهِنَّ: «أَيُّونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ» (١).

وعن عبد الله بن سرجس قال: كان رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذَا سَافَرَ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، اللَّهُمَّ اصْحَبْنَا فِي سَفَرِنَا، وَاخْلُفْنَا فِي أَهْلِنَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعَثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ، وَمِنْ الْحَوْرِ بَعْدَ الْكُورِ، وَدَعْوَةِ الْمَظْلُومِ، وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ» (٢)، وَفِي رِوَايَةٍ: «وَمِنْ الْحَوْرِ بَعْدَ الْكُورِ» (٣).

(١) (صحيح) تقدّم تخريجه ص (٤٠)، هامش (٢).

(٢) (صحيح) أخرجه أحمد [٢٠٧٨١]، والنسائي في «الكبرى» [٨٨٠١].

(٣) (صحيح) أخرجه الترمذي برقم [٣٤٣٩]، وأشار إلى رواية: «وَمِنْ الْحَوْرِ بَعْدَ الْكُورِ».

قوله: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى»: إذا ذَكَرَ الْبِرُّ وَحده دخلت فيه التقوى، وإذا ذُكِرَتِ التَّقْوَى وَحدها دخل فيها الْبِرُّ، فإذا اجتمعتا معًا كان لكل منهما معنى مُخْتَصَّ به.

فالْبِرُّ: القيام بالطاعة وامثال الأوامر.

والتَّقْوَى: الابتعاد عن المعاصي وما نهى الله عَزَّجَلَّ عنه.

فكأن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يأمرُك أن تقول وأنت مسافر: اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ أن يكون هذا السفر سفرًا مصحوبًا بالطاعة، بعيدًا عن المعاصي.

أما من يفكر في سفر المعصية؛ فلن يقول هذا الدعاء، إذ كيف يقوله وهو ذاهب ليعصي الله - تعالى - ؟! كمن يذهب سياحة إلى أماكن فيها عُرْيٌ وخمور وفجور!!

فأنت تُدَكِّرُ نَفْسَكَ أن الله معك في سفرك، وفي بلدك؛ لأن بعض الناس في بلده يحافظ على دينه وطاعته، فإذا خرج عنها فَرَطَ في الطاعات، وربما وقع في بعض المعاصي والموبقات، فنقول له: قبل أن تسافر من بلدك ذَكَرْ نَفْسَكَ أن الله يراك في كل مكان: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

وقوله: «وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى»، أي: وفقني لعمل ما ترضى؛
فترضيك أعمالي في هذا السفر؛ لا تُسَخِّطْكَ، ولا تُغْضِبْكَ، ولا
تستوجب عقوبتك أو عذابك.

وقوله: «اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا»: من التهوين، وهو
التيسير؛ لأن السفر قطعة من العذاب كما قال النبي - صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ، يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ طَعَامَهُ
وَشَرَابَهُ وَنَوْمَهُ، فَإِذَا قَضَى نَهْمَتَهُ فَلْيَعْجَلْ إِلَى أَهْلِهِ» (١).

وقوله: «هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا»، أي: هَوِّنْ عَلَيْنَا طَوْلَ
الطَّرِيقِ، فاللهم اجعل هذا الطريق الطويل سهلاً خفيفاً علينا.
أو: «هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا»، هَوِّنْ عَلَيْنَا المَطَبَاتِ، وقنا من
الحوادث ورفقاء السوء، يا رب جَنِّبْنَا مخاطر الطريق بجميع
أنواعها، وجنِّبْنَا رفقاء السوء.

أو: «هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا»، أي: اجعله خفيفاً على قلوبنا
ونفوسنا فلا نصاب بالكآبة.

وقوله: «وَأَطْوِعْنَا بَعْدَهُ»، أي: قَرِّبْ لَنَا المسافات البعيدة؛
فتكون ميسورة بإذنك يا رب العالمين.

(١) (متفق عليه) أخرجه البخاري [١٨٠٤، ٣٠٠١، ٥٤٢٩]، ومسلم
[١٩٢٧]، وابن ماجه [٢٨٨٢]، وأحمد [٧٢٢٥، ٩٧٤٠، ١٠٤٤٥].

وقوله: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ»، أي: أنت الحافظ، والناصر، والمعين، تحمينا في سفرنا.

فالصحة هنا بمعنى: الحفظ والعناية والرعاية، والله عزَّجَلَّ هو الصاحب في السفر وفي غيره، لكن العبد في السفر يحتاج إلى مزيد من العناية والرعاية؛ لأن المسافر في غُرْبَةٍ، والغريب دائماً ضعيف. والمعنى: أنت يا رب ملاذي وعايذي، فبك أتقوى.

وقوله: «وَالْخَلِيفَةَ فِي الْأَهْلِ»، أي: يا رب احمهم من شر شياطين الإنس والجنِّ، ومن الظالمين، يا رب احفظهم في دينهم، فلا يعصي منهم أحداً، ولا يُفَرِّطُ في الواجبات منهم أحد.

وقوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَغْتَاءِ السَّفَرِ»: الوغْتَاءُ: الشدة والتعب.

والمعنى: يا رب لا نجد تعب السفر ومشقته، بل اجعل أجسادنا صحيحة قوية، إذ ربها في السفر الطويل الذي يستقل فيه الإنسان السيارة أو القطار يجد الإنسان أعضائه متعبةً منهكةً.

فأنت تقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَغْتَاءِ السَّفَرِ»، أي: أنزل مستريحاً كأنني كنت في بيتي، ولا تبدو عليَّ علامات التعب والمشقة والنصب.

وقوله: «وَكَاَبَةِ الْمُنْظَرِ»: هي حالة الهم والحزن الداخلية.

وقوله: «وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَسَالِ وَالْأَهْلِ»: أي: العودة، والمعنى: يا رب إذا رجعت من سفري إلى أهلي، فأعِزني موفقاً قد قضيت حاجتي التي سافرتُ من أجلها، فأعود مُظَفَّرًا فائزًا رابحًا، وأجد أهلي بخير وعافية، فلا يلحقني ولا يلحقهم فساد ولا خسران بمنك وكرمك.

أو: «وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَسَالِ وَالْأَهْلِ»: بأن يسرق أحد مالي في سفري وغيابي، أو يؤذي أحد أولادي أو زوجتي أثناء غيابي.

أو: «وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَسَالِ وَالْأَهْلِ»، يعني: يا رب أعود من سفري طائعاً كما كنت قبله؛ إذ قد يسافر الإنسان طائعاً فيُفْتَنُ في سفره فيرجع عاصياً.

أو: أنه يترك أولاده على الطاعة ثم يرجع من سفره فيجد هذا يتعاطى المخدرات، وذاك يدخن، وهذا لا يصلي!! فيتعوذ من هذا البلاء العظيم الذي ربما يلحق به أو بأحد من أهله.

قوله: «آيِبُونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ»، أي: راجعون على الطاعة كما سافرنا على الطاعة.

وختامًا: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ:
يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُرِيدُ سَفَرًا فَزَوِّدْنِي.

قَالَ: «زَوِّدَكَ اللَّهُ التَّضَوَّى».

قَالَ: زِدْنِي.

قَالَ: «وَعَصْرَ ذَنْبِكَ».

قَالَ: زِدْنِي بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي.

قَالَ: «وَيَسِّرْ لَكَ الْخَيْرَ حَيْثُمَا كُنْتَ»^(١).



(١) (صحيح) أخرجه الترمذي برقم [٣٤٤٤]، والحاكم برقم [٢٤٧٧]،
وابن خزيمة في صحيحه برقم [٢٤٧٧].

وَسَلَّمَ - : «أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمَلِكُ لِلَّهِ»، و «أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمَلِكُ لِلَّهِ»: يفيد أننا في حال إصباحنا وإمساءنا لا نتحول من الصباح إلى المساء، أو من المساء إلى الصباح إلا بحول الله وقوته، فنحن عبيد لله، مَلِكٌ له، فليكن إصباحنا على طاعة الله، وليكن إمساءنا على طاعته، ولنبدأ يومنا برضا الله، ولنمسي على رضى من الله، ثم نحمد الله أن جعلنا من أهل الدنيا الطائعين.

إن صباحًا أو مساءً جديدًا يعني: طاعةً جديدةً، من صلوات خمس، وذكر لله عَزَّجَلَّ، وقراءة للقرآن، وإصلاح بين الناس، وفعل ما افترض الله علينا، وتَعَبُّدٌ لربك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِصنوف العبادات التي أمر بها، وهذا فيه ثوابٌ كثير.

فيوم جديد في حياة المؤمن يعني طاعةً أكثر، وثوابًا أعظم، ودرجة أرفع؛ لذلك تحمد الله تعالى أن جعلك من أهل الدنيا؛ ولذلك كان النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إذا أراد أن ينام يقول: «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتُ وَأَحْيَا»، وإذا استيقظ قال: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»^(١).

(١) (متفق عليه) أخرجه البخاري بأرقام [٥٩٥٣، ٥٩٥٥، ٥٩٦٥، ٥٩٦٦]، [٦٩٥٩، ٦٩٦٠]، ومسلم برقم [٢٧١١]، وأبو داود برقم [٥٠٤٩]، وابن ماجه برقم [٣٨٨٠]، وأحمد برقم [٢٣٢٧١].

فالعبد يحمده الله عَزَّجَلَّ أَنْ مَدَّ أَجْلَهُ إِلَى يَوْمٍ جَدِيدٍ يَعْبُدُ فِيهِ رَبَّهُ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فيزداد عمله، ويقول أيضًا: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي فِي
جَسَدِي، وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي، وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ» (١).

وهذا الذِّكْرُ عَهْدٌ مَعَ اللَّهِ - تَعَالَى - أَنْ يَكُونَ يَوْمَ الْعَبْدِ عَلَى
الطَّاعَةِ وَالتَّوْفِيقِ، فَلَا بَدَّ أَنْ تَقُولَهُ فِي الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ.

ثم إنك في صباحك ومساءلك لا تعلم ما فيه من الشر، ولا
تدري ما يجيكه ويُدبِّره لك بعض الأشرار أو الفجار.

وبعد ما تُعْلِنُ ذِكْرَ اللَّهِ، وتحمده أن جعلك من أهل الدنيا
والطَّائِعِينَ فِي يَوْمٍ جَدِيدٍ؛ تقول: «رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ
وَخَيْرَ مَا بَعْدَهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَشَرِّ مَا
بَعْدَهَا»، وهذا إذا كنت مقبلًا على الليل.

أما إذا كنت مستقبلًا للنهار، فقل: «رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي
هَذَا الْيَوْمِ وَخَيْرَ مَا بَعْدَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هَذَا الْيَوْمِ وَشَرِّ
مَا بَعْدَهُ».

فأخيراً أن تكون طائِعًا، قائمًا بالفرائض، مؤدِّيًا ما عليك، أو
ساعياً في مصالح العباد.

(١) (حسن) أخرجه الترمذي برقم [٣٤٠١].

فقوله: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هَذَا الْيَوْمِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهُ»؛
يعني: من الذنوب والمعاصي كلها، أو من المخلوقات التي تُخْلَقُ في
هذا اليوم، أو هذه الليلة.

أو أسألك أن تُوقِّفني إلى الطاعات الموظفة بالليل أو النهار، مما
أمرتني به، وأعوذ بك من سائر المعاصي.

وأفضل شيءٍ عمله في يومك: أداء ما افترض الله
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَيْكَ، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْإِلَهِيِّ: «وَمَا تَقَرَّبَ
إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ» (١).

والشر الذي يكون في اليوم: مثل، تضييع صلاة من الصلوات،
وبخاصة صلاة الفجر، أو صلاة العشاء، أو صلاة العصر، فصلاتا
الفجر والعصر يتناوب فيهما ملائكة الليل والنهار، ويكتبون الأعمال،
فتكتب ملائكة النهار - بعد استلامهم من ملائكة الليل - في أول
الصحيفة: أتينا وهو يصلي. وتقول ملائكة الليل عند صعودهم:
تركناه وهو يصلي.

وعندما يستلم ملائكة الليل يستلمون نوبتهم من صلاة
العصر، ويصعد ملائكة النهار فيختمون صحيفته: تركناه يصلي
العصر. فإذا كنت نائماً أترضى أن يكتبوا: أتينا ولم يُصَلِّ !!؟

(١) (صحيح) أخرجه البخاري [٦١٣٧]، وابن حبان في صحيحه [٣٤٧].

أو: أتيناه وهو نائم عند أذان الفجر؟!؟

أو: تركناه وهو لم يصل الفجر؟!؟

أو: أتيناه وهو بعيد عن المسجد في صلاة العصر، منشغل

بمشاهدة المباراة أو غيرها؟!؟ فهذا شر ما في اليوم!!

ثم إن أثقل الصلاة على المنافقين: الفجر والعشاء، وقد سُئِلَ

النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عن رجل نام حتى أصبح، فلم

يصل بالليل، ولم يصل الفجر، فقال: «ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي

أُذُنَيْهِ»^(١)!!

فيمكن أن يكون شر ذلك اليوم: الكسل عن الطاعة، ولذلك

قال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ»،

والكسل هو: التثاقل في الطاعة مع الاستطاعة، فهو يستطيع أن يقوم

بالطاعة لكنه يهملها أو يتغافل عنها، أما الذي لا يقدر على الطاعة:

كمريض، أو من لديه مانع قوي - عذر شرعي - فهذا عاجز؛

فالكسلان مثل المنافقين كما قال الله عَزَّوَجَلَّ عنهم: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى

الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

[النساء: ١٤٢].

(١) (متفق عليه) أخرجه البخاري برقم [٣٠٩٧]، ومسلم برقم [٧٧٤]،

والنسائي برقم [١٦٠٨].

يقومون وهو متضجرون من الصلاة.

فتقول: ربي أعوذ بك أن أكون كسلاناً في هذا اليوم.

ومن ينام من غير أن يقرأ أذكار النوم، ثم يستيقظ فلا يتوضأ، ولا يصلي، فيظل طيلة النهار خبيثاً كسلان، كما قال النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللهُ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنِ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنِ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ؛ فَأَصْبَحَ نَشِيْطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ» (١).

ومما ورد يُخَافُ منه في الليلة غير الكسل: ما يخاف من الفرع أو الأرق والقلق فلا يستطيع معه النوم.

فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «إِذَا فَرَعَ أَحَدُكُمْ فِي النَّوْمِ فَلْيُقِلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ، وَشَرِّ عِبَادِهِ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَحْضُرُونَ؛ فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ» (٢).

(١) (متفق عليه) أخرجه البخاري، واللفظ له برقمي [١٦٠٧، ٣٠٩٦]،
ومسلم برقم [٧٧٦]، وأبو داود برقم [١٣٠٦].

(٢) (حسن) تقدّم تخريجه ص (٤١)، هامش (٢).

فقوله: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ غَضَبِهِ»؛ فمن الممكن أن يُسلط الله عَزَّجَلَّ على العبد قلة النوم؛ بسبب معصيته.

وقوله: «وَعَقَابِهِ»: عقوبة من الله عَزَّجَلَّ لمعصية العبد بالنهار
ألا ينام بالليل، ويظل معاقبًا بالأرق.

وقوله: «وَشَرِّ عِبَادِهِ»: إذ تأتي لتنام، فيقول بعض الناس: ذهب فلان لينام ويستريح في بيته على الحرير، ونحن هنا في شقاء وتعب!!
فيصل إليك شرهم فلا تستطيع النوم؛ فلو قرأت هذه الدعاء لا يستطيع أحد أن يحسد نومك.

وقوله: «وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ»: يأتي الشيطان بالليل
ليوسوس لك ألا تصلي العشاء، أو الوتر، أو تنام فلا تصلي الفجر.

وهناك صيغة أخرى عند الإمام أحمد بإسناد صحيح عن أبان
ابن عثمان، عن أبيه، قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «مَنْ
قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ، وَلَا فِي
السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ؛ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ» (١).

وهناك طريقة أخرى داخلة في تعويذة الليل والنهار: وهي
أنك إذا أردت النوم فلتمسك ثوبك، وانفض به سريرك أو فراشك،
فقد قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى

(١) (حسن) سبق تخريجه ص (٤١)، هامش (٣).

فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلْفَهُ عَلَيْهِ،
ثُمَّ يَقُولُ: بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكَتَ نَفْسِي
فَارْحَمَهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ الصَّالِحِينَ» (١).

فتقول: «بِسْمِ اللَّهِ» ثلاث مرات، ثم تضطجع على جنبك
الأيمن، ثم تقول: «بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنْبِي ... إلخ»، والمعنى: أنا
أستيقظ بقوتك يا رب، وأنا م بقدرتك يا رب، فأنا في منامي ويقظتي
مفتقر إليك يا رب، لا أستيقظ ولا أنام من تلقاء نفسي، بل يا رب
بحولك وقوتك.

إذا قلت هذا الدعاء، فَمُتَّ في هذه الليلة بعد ما أَدَّيْتَ
الفرائض، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يَغْفِرُ لَكَ وَيَرْحَمُكَ.

وهناك دعاء آخر: تتوضأ قبله - وكان نومنا عبادة -، فعن
البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ -: «إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ
اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ، وَقُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ،
وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَهْبَةً وَرَغْبَةً إِلَيْكَ، لَا
مَلْجَأَ وَلَا مَنَاجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، أَمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ

(١) (صحيح) سبق تخريجه ص (٤٢)، هامش (١).

الَّذِي أَرْسَلْتَ؛ فَإِنْ مُتَّ مُتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ».

قال: فقلت أستذكرهن: «وَبِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ» قال: «لَا،

وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ» (١).

وقد قال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في الحديث الذي حسنه

بعض أهل العلم: «طَهَّرُوا هَذِهِ الْأَجْسَادَ طَهَّرَكُمُ اللَّهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ

مِنْ عَبْدٍ يَبِيْتُ طَاهِرًا إِلَّا بَاتَ مَعَهُ فِي شِعَارِهِ (٢) مَلَكٌ، لَا يَنْقَلِبُ

سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ فَإِنَّهُ بَاتَ طَاهِرًا» (٣).



(١) (متفق عليه) أخرجه البخاري [٦٣١١، ٦٣١٣، ٦٣١٥، ٧٤٨٨]،

واللفظ له، ومسلم [٢٧١٠]، وأبو داود [٥٠٤٦]، والترمذي [٣٣٩٤]،

[٣٥٧٤]، وابن ماجه [٣٨٧٦]، وأحمد [١٨٥١٥، ١٨٦٥٤، ١٨٦٨٠].

(٢) (حسن) أخرجه الطبراني في «الكبير» برقمي [١٣٦٢٠، ١٣٦٢١]، وفي

«الأوسط» برقم [٥٠٨٧]. والشعار: هو الثوب الملاصق للبدن.

(٣) الشعار: هو الثوب الملاصق للبدن.

â ää · äää · ääã ä

إنه تعوذ نحتاجه جميعاً في زمن اضطربت فيه الأمور وتغيرت فيه الأحوال، في زمن انتشر فيه كثير من الفساد، وخربت فيه الذمم عند كثير من الناس، فما من بلد أو مكان تنزل فيه إلا وتجد أهلاً للشرك يمكرون بالناس بالليل والنهار، وكل واحد فينا يرجو أن يحفظه الله عَزَّجَلَّ من هؤلاء الأشرار، وأن يحميه من كيد هؤلاء الفجار.

إنه تعوذ من عُشَمِ الْغَاشِمِينَ، وَظُلْمِ الظَّالِمِينَ، وَشَرِّ الأَشْرَارِ، وَكَيْدِ الْفَجَارِ.

ونبينا - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ذو الأنوار عَلَّمَنَا كَيْفَ نُحَصِّنْ أَنْفُسَنَا مِنَ الظَّالِمِينَ، ففي الحديث الصحيح عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن نبي الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كان إذا خاف قومًا قال: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ» (١).

فإذا خفت قومًا أو جماعة من الناس يكيدون أو يضمرون لك السوء ممن يعيث في الأرض فسادًا، ويُنزِلون بالناس ما يؤذيهم؛ فقل هذه التعويذة، وهذا إذا كان الذين يريدون إيذاءك جماعة، أما إذا كان واحدًا فقل: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَجْعَلُكَ فِي نَحْرِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ».

(١) (صحيح) أخرجه أبو داود برقم [١٥٣٧]، وأحمد برقم [١٩٧٢٠]، وابن حبان في «صحيحه» برقم [٤٧٦٥]، والحاكم برقم [٢٦٢٩].

ومعلوم أن من رُمِيَ في نحره بسهم مات، فأنت ترمي من أراد بك الشر بكلمات الله التامات، وتواجه شر كل ذي شر - من الغاشمين الفاجرين من الجن والإنس - بالله العزيز الجبار القهار، بالله ذي البطش الشديد.

فقوله: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ»، أي: فيخسئون ويندحرون، ولا يقوم لشرهم أبداً ركن من الأركان.

وقوله: «وَتَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ»، أي: شر الناس الذين تخافهم؛ إما أن يريدوا سفك دمك، أو انتهاك عرض لك، أو أخذ مالك.

قد يكون زميلاً في العمل تخافه وتخشاه؛ لأنه يكيّد لك في عملك، وينمُّ عليك عند رؤسائك، أو يريد أن يحصل على درجتك بغير حق؛ فأنت تقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَجْعَلُكَ فِي نَحْرِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ».

وقد يكون بعض المنافسين لك في مجال التجارة، أو مجال الزراعة؛ فيكيّد لك، يريد أن يوقع بك السوء، فيضرب تجارتك، أو يُنزِل بك الخسارة، أو يصرف الناس عن الأمر الذي أنت فيه، فإذا خفت ذلك فقل: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَجْعَلُكَ فِي نَحْرِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ»

والله عَزَّجَلَّ يَكْفِيكَ وَيُؤْوِيكَ.

هذا هو تَعَوُّذُ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذَا خَافَ قَوْمًا

يُرِيدُونَ السُّوءَ بِالْمُسْلِمِينَ.

وكان عند بعض أصحاب النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

تعويذات ينبغي أن نأخذ بها، وقد أمرنا النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

أن نستمسك بهدي أصحابه، فقد عَلَّمَنَا عبد الله بن مسعود

وعبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كيف نحتمي بالله من شر الأشرار

وكيد الفجار، يقول عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِذَا تَخَوَّفَ أَحَدُكُمْ

السُّلْطَانَ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ،

كُنْ لِي جَارًا مِنْ شَرِّ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ - يَعْنِي الَّذِي تُرِيدُ -، وَشَرِّ الْجِنِّ،

وَأَتْبَاعِهِمْ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ، عَزَّ جَارُكَ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ، وَلَا إِلَهَ

غَيْرُكَ» (١).

وَيُعَلِّمُنَا ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا صيغة أخرى مباركة طيبة ندرأ

وندفع بها شر الفاجرين الظالمين فيقول: «إِذَا أَتَيْتَ سُلْطَانًا مَهِيئًا

تخاف أن يسطوبك فقل: اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَعَزُّ مِنْ خَلْقِهِ جَمِيعًا، اللهُ

أَعَزُّ مِمَّا أَخَافُ وَأَحْذَرُ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، الْمُمْسِكِ

(١) (حسن) أخرجه الطبراني في «الكبير» [٩٧٩٥]، و«الدعاء» [١٠٥٦].

السموات السبع أن يقعن على الأرض إلا بإذنه من شر عبدك فلان وجنوده وأتباعه وأشياعه من الجن والإنس، اللهم كن لي جاراً من شرهم، جل ثناؤك، وعز جارك، وتبارك اسمك، ولا إله غيرك. ثلاث مرات « (١) .

فإذا قلت ما عَلَّمَنَا إِيَّاهُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وما عَلَّمَنَا إِيَّاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أو اكتفيت بواحد منهما مع الصدق واليقين والاستعانة بالله عَزَّجَلَّ، ومع قيامك بالفرائض، واجتنابك للكبائر، إذا فعلت ذلك؛ فإن الله عَزَّجَلَّ يكفيك ويحميك وينصرك على من تخاف من شره، أو من مكره، أو من كيده.

وها هو عبد الله بن جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يزوج ابنته، وقبل زفافها خَلاَ بها ثم علمها صِغَةً مِنَ الصَّيْغِ تَقُولُهَا عِنْدَ الْأُمُورِ الشَّدِيدَةِ، أو عندما تخاف أمراً عظيماً، فقال: «إِنْ نَزَلَ بِكَ الْمَوْتُ أَوْ أَمْرٌ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا فَاسْتَقْبِلِيهِ بِأَنْ تَقُولِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» (٢) .

(١) (صحيح) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» برقم [٧٠٨].

(٢) (حسن) أخرجه النسائي في «الكبرى» برقم [١٠٤٧٩].

وهذه صيغة أخرى عند الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ فِي دَعْوَةِ
 الْمَكْرُوبِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْحَلِيمُ الْعَظِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ
 الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ
 الْكَرِيمِ» (١).

والذي يقول هذه الصيغة في مواجهة الظالمين أو عند كرب
 شديد؛ يكفيه الله عَزَّجَلَّ وَيُحْمِيهِ.

وقد وَشَى بعض الناس ببعض العلماء عند سلطان فحبسه ظلماً،
 فاغتم تلامذته، ورأى بعض تلامذته النبيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
 فِي نَوْمِهِ وَهُوَ يَقُولُ لَهُ: «قُلْ لَشَيْخِكَ فَلَانًا الْمَجْبُوسِ ظَلَمًا: عَلَيْكَ
 بِدَعْوَاتِ الْكَرْبِ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»، فاستيقظ من نومه ودخل
 عَلَى شَيْخِهِ فِي مَحْبَسِهِ وَقَالَ لَهُ: رَأَيْتَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
 فِي النَّوْمِ، وَقَالَ لِي: قُلْ لَشَيْخِكَ: أَيْنَ أَنْتَ مِنْ دَعْوَاتِ الْمَكْرُوبِ الَّتِي
 فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ؟!!

فقال الشيخ: الله أكبر «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْحَلِيمُ الْعَظِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا
 اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ
 وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ».

(١) (صحيح) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم [٥٩٨٦]، وفي «الأدب
 المفرد» برقم [٧٠٢]، وأحمد بأرقام [٢٠١٢]، [٢٥٣٧]، [٢٥٦٨]، [٣١٤٧].

فما لبث بعد أن قالها غير وقت قليل حتى جاءه الفرج، وعرف هذا الأمير بالوشاية، وأن هذا الشيخ مظلوم، ففك أسره وأخرجه من السجن الذي كان فيه.

فإذا خفتَ ظالمًا فالزم هذه الصيغ المباركة مع قيامك بالفرائض واجتنابك للكبائر.

وعندنا مجموعة من الصيغ القرآنية تواجه بها من تخاف شره، أو من تخاف غشمه ومكره.

يقول جعفر الصادق رَحِمَهُ اللهُ: «عجبت لمن ابتلي بأربع كيف يغفل عن أربع: عجبت لمن ابتلي بالخوف من الناس كيف يغفل عن قول الله تعالى: ﴿حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]...».

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٣-١٧٤].

وقال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ حين أُلْقِيَ فِي النَّارِ: «حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»، فقال الله عزَّ وجلَّ للنار: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾. [الأنبياء: ٦٩].

يقول جعفر الصادق: «..... وعجبت لمن ابتلي بالضر
- سواء كان مرضاً أو غيره - كيف يغفل عن قول الله - تعالى - :
﴿ أَفِي مَسْفَى الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٣]

قالها أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ وقد مكث في البلاء ثمانية عشر سنة
﴿ وَيُؤْتِيكَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ: أَفِي مَسْفَى الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴾
﴿ ٨٣ ﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ، وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ، وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ
رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا، وَذَكَرَى لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٣-٨٤].

قال جعفر: «..... وعجبت لمن ابتلي بالغم كيف يغفل عن
قول الله - تعالى - : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ
الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧]

وقد قال الله - تعالى - : ﴿ وَذَا التَّنُورِ إِذْ ذَهَبَ مُغْلَضِبًا فَظَنَّ أَنْ
لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي
كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿ ٨٧ ﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَجَجْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ، وَكَذَلِكَ
نُخْرِجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨].

قال جعفر: «..... وعجبت لمن ابتلي بمكر الناس كيف
يغفل عن قول الله - تعالى - : ﴿ وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٤٤]

قالها مؤمن آل فرعون الذي كان مع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَكْتُمُ
 إِيمَانَهُ - والقصة في سورة غافر - اقرأها و اقرأ المقطع الذي فيها كله،
 فستجد أنه يقول: ﴿ فَسَتَذَكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوِضُ أَمْرِي إِلَى
 اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَّهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا
 وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ [غافر: ٤٤-٤٥].

لما كاد فرعون وقومه بمؤمن آل فرعون، وأرادوا أن يقتلوه
 ويفتكوا به، نبههم وحذرهم ودعاهم إلى الإيمان قال هذا الدعاء
 ﴿ وَأَفْوِضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ﴾؛ فنجاه الله عَرَجَلًا من كيدهم ومكرهم.
 نسأل الله - تعالى - أن يحفظنا من كيد الفجار، وأن ينجينا من
 شر الأشرار، ﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴾ [يوسف: ٦٤].



ä âæ · ä â âææã â

إن التعوذ من منكرات الأخلاق في زماننا هذا مما يجب الاهتمام به، حيث انحرف كثير من الناس عن جادة الأخلاق القويمية؛ ففي الحديث الصحيح أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كان يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَهْوَاءِ»، زاد الحاكم وغيره: «وَالْأَدْوَاءِ»^(١).

والنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - معصوم من المنكرات والخطايا والدنايا، لكنه يستعيد بالله تَدَلُّلاً له، وافتقاراً إليه، واعترافاً له بالعبودية، وضراعة إليه عَزَّجَلَّ، كما أن هذا في الوقت ذاته تعليم لنا، وقد قدمنا من قبل أنه إذا كان - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يستعيد من أمور قد حفظه الله وعصمه منها، فإن ذلك في الحقيقة تعليم لنا، فيجب أن نحرس على هذه التعوذات.

قوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ»: المنكر هو ما يستقبحه الشرع والعقل معاً، فكل ما ذمه الشرع ولم يرضه فهو منكر، وكل ما ذمه الناس بعقولهم السليمة وفطرتهم السوية فهو منكر.

(١) (صحيح) تقدّم تخريجه ص (٤٢)، هامش (٣).

فالذي نتعوذ بالله منه ونسأله أن يحميننا منه: منكرات الأخلاق، ومنكرات الأعمال، ومنكرات الأهواء، ومنكرات الأدواء.

والأخلاق هي هذه الصفات التي نعامل بها الناس، وهذه الأخلاق منها: الأخلاق الحسنة، والأخلاق المذمومة.

فالأخلاق الحسنة على سبيل الإجمال: أن تُنصف الناس من نفسك، ويجمعها على التفصيل: الحلم، والعفو، والجود، والكرم، والسخاء، والصبر، والتوُّدُّ، واللين، والبشاشة، وسائر الأخلاق الحسنة.

أما الأخلاق السيئة التي استعاذ منها النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فهي الأخلاق الرَّدِيَّةُ، مثل أن يظلم الناس، أو يعتدي عليهم، أو يقسو عليهم، أو يكون جافياً معهم، أو يكون فحاشاً، أو لعاناً، أو طعاناً، فكل من يفعل هذه الأشياء فقد وقع في منكرات الأخلاق.

وقد عَلَّمَنَا النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - دعاءً جميلاً، ليتك تلصقه على المرأة وهو: «اللَّهُمَّ كَمَا أَحْسَنْتَ خَلْقِي، فَحَسِّنْ خُلُقِي» (١).

(١) (صحيح) أخرجه أحمد بأرقام [٣٨٢٤، ٢٤٣٩٢، ٢٥٢٢١]، وأبو داود الطيالسي في «مسنده» [٣٧٢]، والبيهقي في «الدعوات الكبير» [٤١٤].

والدين حسن الخلق، وأكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم أخلاقًا.

وقد ورد عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في أدعية الاستفتاح - وله أكثر من صيغة - : «... وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ...» (١) .

فقوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ» أي: المقبوحة المذمومة التي تشتمل على إيذاء الناس، وإضرار السوء لهم، أو الكيد بهم.

والأخلاق هنا أي: الباطنة مثل: الحقد، والحسد، والغل، والشحناء، والبغضاء، والكبر، والتعالي على الناس، فأنت تقول: اللهم إني أعوذ بك من أن أحسد أحدًا، أو أتكبر عليه، أو أتعالى عليه، وقد قال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «سَيُصِيبُ أُمَّتِي دَاءُ الْأُمَمِ»، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا دَاءُ الْأُمَمِ؟ قَالَ: «الْأَشْرُ، وَالْبَطْرُ، وَالتَّكَاثُرُ فِي الدُّنْيَا، وَالتَّبَاغُضُ، وَالتَّحَاسُدُ، حَتَّى يَكُونَ الْبَغْيُ، ثُمَّ يَكُونُ الْهَزْجُ» (٢) .

(١) (صحيح) أخرجه مسلم برقم [٧٧١]، وأبو داود برقم [٧٦٠]، والترمذي برقمي [٣٤٢١، ٣٤٢٢]، والنسائي برقم [٨٩٧]، وأحمد برقم [٧٢٩].

(٢) (حسن) أخرجه ابن وضاح القرطبي في «كتاب البدع» [٢٢٨]، وابن أبي الدنيا في «العقوبات» [٢٦١]، و«ذم البغي» [٢]، والحاكم [٧٣٧٥].

فأنت تسأل الله أن يعيدك من هذه المنكرات: البطر والأشر
والحسد والتباغض... إلخ.

وقوله: «وَالْأَعْمَالِ»، عطف على منكرات الأخلاق، والمعنى:
ومنكرات الأعمال.

ومنكرات الأعمال؛ أي: الأخلاق الظاهرة من الصغائر والكبائر
التي يفعلها الإنسان، كالسرقة، والغيبة، والنميمة، وعقوق الوالدين،
وشهادة الزور، والنظر إلى ما حرم الله، وترك الصلاة، ومنع الزكاة،
فكل المنكرات الظاهرة صغيرة أو كبيرة تسمى: منكرات الأعمال،
فأنت تتعوذ بالله من فعل الذنوب الصغائر أو الكبائر.

ومن منكرات الأعمال: البدعة، وهي أن تفعل شيئاً على غير
هَدْيِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، أو أن تحدث في دين الله ما
ليس منه، قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «مَنْ أَخَذَتْ فِي
أَمْرِنَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»، وفي رواية: «مَنْ عَمَلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ
أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»^(١)، وقال الله - تعالى -: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ
وَأَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

(١) (متفق عليه) أخرجه البخاري [٢٥٥٠]، ومسلم [١٧١٨]، واللفظين له،
وأبو داود [٤٦٠٦]، وابن ماجه [١٤]، وأحمد [٢٦٠٣٣]، [٢٦٣٢٩].

فليس لأحد أن يزيد في الدين شيئاً، أو ينقص منه شيئاً، أما أمور في الدنيا فابتدع ما شئت ما دام حلالاً، فآلة التصوير التي يُصَوِّرُ بها بدعة، لكنها بدعة دنيوية لا علاقة لها بالحلال والحرام، لكنها تصير حراماً عندما تُسْتَخْدَمُ في الشر.

فيدخل في منكرات الأعمال البدعة، وقد تَرَكَنا النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على المحجة البيضاء، وعلى الطريقة الواضحة الغراء، فقال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «قَدْ تَرَكَتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ...» (١).

أيضاً من جملة منكرات الأعمال أن يكون الإنسان داعية إلى الشر فيعمله ويقتدي الناس به فيه، فيحمل سيئاته وسيئات من يعمل مثله، ولذلك قال النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئاً» (٢).

(١) (صحيح بطرقه وشواهده) أخرجه ابن ماجة برقم [٤٣]، وأحمد برقم [١٧١٤٢]، والحاكم في «المستدرک» برقم [٣٣١].

(٢) (صحيح) أخرجه مسلم [٢٦٧٤]، وأبو داود [٤٦٠٩]، والترمذي [٢٦٧٤]، وابن ماجة [٢٠٦]، وأحمد [٩١٦٠].

فالسَّيْجَارَةُ - التي تَدْخُنْهَا فَيَقْتَدِي بِكَ صَاحِبُكَ أَوْ وَلَدُكَ -
 مِنْ مَنَكْرَاتِ الْأَعْمَالِ، فَهَذِهِ أُمُورٌ يَنْبَغِي أَنْ نَهْتَمَّ بِهَا.

قَوْلُهُ: «وَالْأَهْوَاءُ»، الْهُوَى: زَيْغُ النَّفُوسِ وَمِيلُهَا نَحْوَ الشَّهْوَةِ
 الْمَحْرَمَةِ وَانْهَامَاكْهَا فِيهَا.

فَالشَّهْوَةُ: حَلَالٌ وَحَرَامٌ، وَالهُوَى: الْمِيلُ إِلَى الشَّهْوَةِ الْحَرَامِ.

فَالزَّوْجَةُ شَهْوَةٌ حَلَالٌ، وَغَيْرُ زَوْجَتِهِ شَهْوَةٌ حَرَامٌ، وَالْفَجُورُ
 مَعَهَا مِيلٌ نَحْوَ شَهْوَتِهِ الْمَحْرَمَةِ.

وَكَذَلِكَ الْمَالُ حِينَمَا يَكْسِبُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ كَدِّهِ وَتَعَبِهِ شَهْوَةٌ حَلَالٌ،
 أَمَا إِذَا سَرَقَهُ، أَوْ اخْتَلَسَهُ، أَوْ تَعَامَلَ فِيهِ بِالرِّبَا، أَوْ تَعَامَلَ مَعَامَلَاتِ
 مَحْرَمَةٍ؛ فَهَذِهِ شَهْوَةٌ مَحْرَمَةٌ.

أَوْ الْهُوَى هُوَ: الْأَعْتِقَادَاتُ الْفَاسِدَةُ الَّتِي تَخَالِفُ الْعَقِيدَةَ الَّتِي
 تَرَكْنَا عَلَيْهَا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، مِثْلَ أَصْحَابِ
 الْبَدْعِ وَالْأَهْوَاءِ، كَمَنْ يَطُوفُ حَوْلَ الْقُبُورِ الَّتِي دُفِنَ فِيهَا الصَّالِحُونَ
 يَلْتَسِمُ عِنْدَهُمْ خَيْرًا أَوْ رَفَعُ ضُرٍّ.

وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ حَدِيثٌ
 صَحِيحٌ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ
 مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ

سَتَفْتَرِقُ عَلَيَّ ثَلَاثَ وَسَبْعِينَ ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةً فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ، وَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ تُجَارِي بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءَ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ، فَلَا يَبْقَى مِنْهُ عِزْقٌ وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ»، والله يا معشر العرب لئن لم تقوموا بما جاء به محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لغير ذلك أحرى أن لا تقوموا به (١).

(١) (صحيح بشواهده) أخرجه أبو داود برقم [٤٥٩٧]، والدارمي برقم [٢٥١٨] إلى قوله: «وَوَاحِدَةً فِي الْجَنَّةِ»، وأحمد برقم [١٦٩٣٧]، والطبراني في «الكبير» برقم [١٦٢٨٣]، وفي «مسند الشاميين» برقم [٩٨٧]، ومداره على . قال الأرنؤوط: «وقوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في افتراق أهل الكتابين وأمته؛ له شاهد من حديث أبي هريرة، سلف برقم [٨٣٩٦]، وإسناده حسن. وآخر من حديث أنس، سلف برقم [١٢٢٠٨]. وثالث من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عند الترمذي [٢٦٤٤]. ورابع من حديث عوف بن مالك الأشجعي عند ابن ماجه [٣٩٩٢]، وابن أبي عاصم في «السنه» [٦٣]. وخامس من حديث أبي أمامة عند ابن أبي عاصم في «السنه» [٦٨] اهـ. قلت: وشاهد من حديث سعد بن أبي وقاص عند الحميدي في «مسنده» برقم [١٤٩].

قلت: ولا اعتبار بقول من يحاول نفي ثبوت هذا الحديث، وقد أطال الإمام الشاطبي رَحْمَةً لِلَّهِ فِي كِتَابِهِ «الاعتصام» في شرح هذا الحديث، بل أسس كتابه بهذا الحديث. وهو كتاب يجب الرجوع إليه في هذه الآونة؛ لما يحدث من خلاف وشقاق بين أمة الإسلام، ففيه شفاء من كل داء فكري أو عقدي أو سياسي، جزى الله - تعالى - مؤلفه خيرًا، والكتاب مطبوع أكثر من طبعة، وموجود ومنتشر، فينبغي ألا تخلو منه مكتبة عالم أو متعلم.

والكَلْب: بفتح الكاف واللام؛ دَاءٌ يحصل من عَضِّ الكَلْبِ المسعور ويتفرق أثره، فلا يشرب احب هذا الداء حتى يموت من العطش، وهذا له علاج الآن.

فالنبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يبين أنه سيصيب أهل الأهواء سعار يفتنون به الناس عن دينهم، فَيُؤْوِلُونَ كتاب الله بغير علم، ويفسرونه بالباطل، ويتدعون أشياء ليست في دين الله عَرَجَلًا، ولذا أمر الله - تعالى - النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال له: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾. [الكهف: ٢٨].

فالذي يتبع هواه، أمره فُرُطٌ أي: إلى ضياع وإلى هلاك.

وقال الله تعالى عن أصحاب الأهواء الباطلة: ﴿أَفْرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

وانظر إلى هذا الرجل الذي آتاه الله تعالى الكلمات والأدعية، وعلمه الكتاب والحكمة، فأغراه أعداء موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالمال والنساء، فكفر بسيدنا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ!! فقال الله - تعالى - عنه: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَأَنْسَخْنَا مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ

إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ فَشَئِلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ
أَوْ تَتْرَكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتٍ فَأَقْصَصَ
الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٥-١٧٦﴾. فصار مثله مثل
الكلب لما اتبع هواه.

وقد خشي النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أن نمشي خلف
أهوائنا وشهواتنا وملذاتنا المحرمة، ووراء العقائد الفاسدة والأفكار
الضالة والمثل المنحرفة، فقال في الحديث الصحيح: «إِنَّ مِمَّا أَخْشَى
عَلَيْكُمْ شَهَوَاتِ الْغَيِّ فِي بَطُونِكُمْ وَفُرُوجِكُمْ وَمُضِلَّاتِ الْهَوَى» (١).

فشهوات الغي في البطون أي: الأكل، وفي الفروج: الزنا
والشدوذ ونحوه.

خشي النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على الأمة أن ينتشر فيها
الحرام من الزنا وتوابعه.

ومضلات الهوى: مثل أن يخرج رجل يقولون عنه إنه «مُفَكِّرٌ»!!
وما هو بمفكر، ويقول للناس: نريد أن نفهم الدين من جديد،
ويضل عباد الله عَزَّجَلَّ، وَيُصَدِّقَهُ بَعْضُ النَّاسِ وَيَسِيرُونَ وَرَاءَهُ،
ويقولون إنه يكتب في الجرائد، ويظهر على شاشات الفضائيات!!

(١) (صحيح بطرقة وشواهد) أخرجه أحمد [١٩٧٧٢، ١٩٧٧٣، ١٩٧٨٧].

وحقيقة المفكرين ليست كذلك، بل لا بد أن يكون عالمًا موثوقًا فيه، مشهودًا له بالكفاءة، لا أن يخرج علماني أو شيعي أو ماركسي فيتكلم في القرآن الكريم بالباطل فنصدقه، فهذا هي من مضلات الهوى، فلا بد أن نخاف على أنفسنا.

قوله: «وَالْأَدْوَاءِ» يعني: الأمراض الشديدة والأسقام التي لا علاج لها، أو هي الأمراض المقعدة كالجدام - وهو تساقط الأعضاء -، أو البرص - الأمراض الجلدية - أو البكم، أو الصمم، أو الجنون - ذهاب العقل -.

والمعنى: أعوذ بك من الأمراض التي تؤذي وتُقعِدُ الإنسان فلا يستطيع أن يؤدي الفرائض، ولا أن يمارس حياته، ولا أن يسعى على أولاده.



â ä ä · ä ä ä ä ä

إنه تعوذ نبوي مبارك جديد نعيش معه، وهو التعوذ من أنواع الرذائل النفسية، والبدنية، والخارجية.

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَأَبِي طَلْحَةَ: «الْتَمِسْ لِي غُلَامًا مِنْ غُلَمَانِكُمْ يَخْدُمُنِي»، فخرج بي أبو طلحة يُرِدْفُنِي ورائه، فكنت أخدم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كلما نزل، فكنت أسمعه يكثر أن يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحُزْنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدِّينِ وَغَلْبَةِ الرَّجَالِ» (١).

هذه الأمور الثمانية كلها رذائل، وقد استعاذ النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في هذا الحديث من أنواع الرذائل كما قال العلماء.

قال العلماء: أنواع الرذائل ثلاثة: نفسانية، في داخل قلب الإنسان أو نفسه، وبدنية، شئى ظاهر على بدنه، وخارجية، أي: في خارج الإنسان.

ففي هذا الحديث ثمانية أمور تعوذ منها النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهي جميعاً داخلية في هذه الأقسام الثلاثة.

(١) (صحيح) سبق تخريجه ص (٤٣)، هامش (١).

والأمور النفسانية تنقسم إلى ثلاثة أقسام: أمور شهوانية،
وأمور غضبية، وأمور عقلية.

فمما يتعلق بالذائل النفسية العقلية: الهم والحزن.

فقوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الِهَمِّ، وَالْحَزَنِ»: والهم: هو
توقع المكروه في المستقبل الآتي، وأما الحزن: فهو الأسى والأسف
على شئ من المكروه قد وقع، فأنت تستعيد من المستقبل الآتي الذي
تخاف منه، والحزن الذي هو أمر وقع ومضى زمانه.

لماذا نستعيد من الهم والحزن؟!

الجواب: لأن الإنسان إذا كان حزيناً كثيراً مهموماً مضطرباً
فإنه سيقعد عن الإيجابية، ولن يقوم بالفرائض، ولن يكون عنده
إقبال على الحياة؛ فيصبح عضواً سلبياً في المجتمع.

ومما يتعلق بالأمور النفسية الغضبية: الجبن. ومما يتعلق
بالأمور النفسية الشهوانية: البخل.

فقوله: «وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ»: فالجبن: يتعلق بالقوة الغضبية،
يعني: شجاعة الإنسان. وَالْبُخْلِ: يتعلق بالقوة الشهوانية؛ لأن
الإنسان يحب المال، وحينها يمنعه تكون شهوة البخل قد أثرت فيه.

ومما يتعلق بالأمر البدنية: العجز والكسل.

فقوله: «وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ»: فليس العجز هو الكسل بل بينهما فرق: فالعجز: هو ألا يستطيع الإنسان القيام بالعمل لعجزه عنه، كأن يكون مقطوع اليد، أو ضرير العين، ونحوه.

أما الكسل: فهو التثاقل عن الطاعة مع الاستطاعة، فربما يسمع الأذان ويستطيع القيام إلى الصلاة، فيظل جالساً لا يقوم إليها، مع أنه في تمام الصحة والعافية!! وهذه صفة المنافقين الذين قال الله عنهم: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

فأنت تستعيد بالله أن تعجز بحيث تفقد طاقاتك ومَلَكَاتِكَ في الحياة، أو أن تكون كسلاناً لا تنبعث إلى طاعة، أو لا تنبعث إلى الأعمال البناءة سواء كانت اجتماعية أو غيرها، وقد قال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في الحديث الصحيح: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ أُخْرِصَ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ» (١).

(١) (صحيح) أخرجه مسلم برقم [٢٦٦٤]، وابن ماجه برقم [٧٩، ٤١٦٨].

ومما يتعلق بالأُمور الخارجية: ضلع الدِّين وقهر الرجال.

فقوله: «وَضَلَعَ الدِّينِ، وَغَلَبَةَ الرَّجَالَ»: فضلع الدين: هو أن يركب الإنسان ديوناً كثيرة يعجز عن سدادها، أو ديون محرمة؛ فبذلك يتسلط غيره عليه، فيقول له مثلاً: «أعطني مالي وإلا حبستك»، وَغَلَبَةَ الرَّجَالَ يعني: تسلط الظالمين.

وقوله: «وَالجُبْنِ، وَالبُخْلِ»: فالجبن: منع قوة البدن عن مساعدة الناس في وقت الاعتداء عليهم. والبخل: منع المال عن الناس في وقت احتياجهم إليه؛ لأن الجود إما أن يكون بالبدن، وإما أن يكون بالمال، فمن يجود ببدنه فهو الشجاع الذي يضحي بنفسه لأجل دينه وأمته، ومن يجود بماله فهو السخي الجواد.

وبنو آدم أربعة أنواع:

فمنهم: الجواد الشجاع.

ومنهم: الجبان البخيل، فهو عكس الأول.

ومنهم: الجواد الجبان، فهو ينفق بسخاء، لكن ليست لديه الشجاعة والقوة في مواجهة الحرب.

ومنهم: الشجاع البخيل، فعنده قوة وشجاعة على الحرب والجهاد، لكنه لا يستطيع أن يخرج المال.

فالناس أربعة أنواع، أحسنهم النوع الأول: الجواد الشجاع،
ولذلك قال النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ
مِنَ الهمِّ، وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ، وَالْجُبْنِ».

وقوله: «وَضَلَعِ الدِّينِ»: الضلع: أن يركب الدين الإنسان.

والاستدانة ليست ممنوعة، فما من أحد إلا ويستدين لقضاء
ضروراته، لكن من المعلوم أن الدين هم بالليل وذل بالنهار، ولذلك
لم يستعذ النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من الدين، وإنما استعاذ
من غلبة الدين؛ إذ الإنسان قد يستدين لينفق على ضروراته ثم
يقضي دينه بعد ذلك، أما ضلع الدين أن يستدين ليفعل أمرًا محرماً،
أو يستدين حتى تتراكم عليه الديون ويغلب على قضائها، فيطالبه
أصحاب الديون بأموالهم، ويخبرونه بين الدفع أو السجن.

وقوله: «وَعَلَبَةِ الرَّجَالِ» يعني: ظلم الرجال، أي: أعود بك
أن أكون ظالماً للناس.

أو أن المعنى: أن أظلم أو يقهرني أحد من الناس.

فأنت تستعيز بالله أن تكون ظالماً، أو أن تكون مظلوماً؛ لأن
من الناس من له جاه وسلطان فيفرط في استخدام جاهه وسلطانه،
ويمكن أن يسلط على الإنسان من يقهره ويظلمه، لذلك استعاذ

النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من هذه الأمور الثمانية؛ لأنها تجمع أنواع الرذائل كلها.

وعن عَلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن مكاتبًا جاءه فقال: إني قد عجزت عن كتابتي فأعني. قال: «ألا أعملك كلمات علمنيهن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لو كان عليك مثل جبل صير دينًا أداه الله عنك؟»، قال: «قُل: اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ»^(١).

فإذا غلبتك الديون وعجزت عن قضائها، وضقت عليك السبل فالجأ إلى الله تعالى، وقل: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ، وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ، وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدِّينِ، وَغَلْبَةِ الرَّجَالِ»، وقل: «اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ».

وفي حديث حسنه بعض أهل العلم، وضعفه بعضهم لكن يشهد له الحديث الذي معنا من حيث المعنى، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: دخل رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ذات يوم

(١) (ضعيف) أخرجه الترمذي برقم [٣٥٦٣]، وأحمد برقم [١٣١٩]، والحاكم برقم [١٩٧٣]، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وليس كذلك، ففيه عبد الرحمن بن إسحاق، وهو ضعيف الحديث.

المسجد فإذا هو برجل من الأنصار يقال له: أبو أمامة فقال: «يَا أَبَا أُمَامَةَ، مَا لِي أَرَاكَ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ فِي غَيْرِ وَقْتِ الصَّلَاةِ»، قال: هموم لزممتي وديون يا رسول الله.

قال: «أَفَلَا أُعَلِّمُكَ كَلَامًا إِذَا أَنْتَ قُلْتَهُ أَذْهَبَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - هَمَّكَ وَقَضَىٰ عَنكَ دَيْنَكَ؟».

قال: قلت: بلى يا رسول الله.

قال: «قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلْبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ».

قال: ففعلت ذلك، فأذهب الله عَزَّجَلَّ همي وقضى عني

ديني (١).



(١) (حسن بشواهده) أخرجه أبو داود برقم [١٥٥٥]، والبيهقي في «الدعوات الكبير» برقم [١٣١٩]؛ وفيه غسان بن عوف: لين الحديث، ولم يتابع عليه، ويشهد له حديث التَّعَوُّذِ الْمَشْرُوحِ.

ä â · ââã ä

إنه تعوذ ينبغي أن نحفظه وأن نتعلمه وأن نُعلِّمه لأزواجنا وأهلينا وأحبابنا، ينبغي أن نقوله في اليوم أكثر من خمس مرات.

وهو تعوذ يرتبط بالصلاة سواء كانت صلاة فريضة أو نافلة، فهو تعوذ بعد التشهد في الصلاة، فإذا قلت: «التحيات لله، والصلوات والطيبات ... إنك حميد مجيد»، فلا تعجل بالسلام، بل تَأَنَّ وتمهل فأنت مع الله عَزَّجَلَّ، فأعط نفسك حظها من هذا النعيم، والصلاة نعيم الدنيا، وقد قال النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^(١)، فلا تعجل فأنت في نعيم وسكينة وقرّة عين.

روى مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشْهُدِ الْآخِرِ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ وَمِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ»^(٢).

(١) (حسن) أخرجه النسائي برقمي [٣٩٣٩، ٣٩٤٠]، وأحمد برقم [١٤٠٣٧]، وبلفظ: «وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ».

(٢) (صحيح) سبق تخريجه ص (٤٣)، هامش (٢).

وفي رواية أخرى له عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ يَعْلَمُهُمْ هَذَا الدُّعَاءَ كَمَا يَعْلَمُهُمُ السُّورَةُ مِنَ الْقُرْآنِ، وَيَقُولُ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْحَيَاةِ وَالْمَمَاتِ» (١).

قال مسلم بن الحجاج: بلغني أن طاوساً قال لابنه: أدعوت بها في صلاتك؟ فقال: لا، قال: أعد صلاتك!!؛ لأن طاوساً رواه عن ثلاثة أو أربعة أو كما قال.

إذاً فقد كان طاوس بن كيسان يعتقد أن قول هذه الأربعة بعد التشهد الأخير واجب؛ لأنه روى عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ يُعَلِّمُهُمْ هَذَا الدُّعَاءَ كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ.

بل كان ابن حزم الأندلسي فقيه الظاهرية بالأندلس يُعَدُّ الصلاة التي لا يتعوذ فيها بهذه الأربعة باطلة.

(١) (صحيح) أخرجه مسلم برقم [٥٩٠]، وأبو داود برقم [٩٨٤]، والترمذي [٣٤٩٤]، والنسائي برقم [٢٠٦٣]، وابن ماجه [٣٨٤٠].

وهذا الكلام أنقله حتى يخاف العبدُ على صلاته، فيحرص على هذه الأربع، لكن جمهور العلماء على أن من تركها فصلاته صحيحة، وقد فوّت على نفسه خيراً كثيراً.

وفي رواية عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مع زيادة: «... اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ»، فقال له قائل: ما أكثر ما تستعيد من المغرم؟ فقال: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ» (١).

وفي رواية عنها أيضاً: كان النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ النَّارِ، وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَشَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى، وَشَرِّ فِتْنَةِ الْفَقْرِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ قَلْبِي بِمَاءِ التَّلْجِ وَالْبَرْدِ، وَنَقِّ قَلْبِي مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثُّوبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ، وَالْمَأْثَمِ، وَالْمَغْرَمِ» (٢).

لا بد للمصلي أن يقول مجموع هذه الدعوات عقيب التشهد الأخير، وليحذر من نسيانها؛ فإن العبد في حاجة شديدة إليها.

(١) (متفق عليه) سبق تخريجه، ص (٤٣)، هامش (٣).

(٢) (صحيح) سبق تخريجه، ص (٤٤)، هامش (١).

قوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ»، يحتمل معنيين:

الأول: أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَعَاصِي وَالذَّنُوبِ الَّتِي إِذَا وَقَعْتُ فِيهَا أَدَّتْ لِي إِلَى جَهَنَّمَ، فتكون الاستعاذة في الحقيقة من السبب الذي يؤدي بي إلى جهنم.

الثاني: أنه استعاذة من جهنم حقيقة؛ لأن عذابها شديد، فيكون المعنى: أَعُوذُ بِكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَنْبًا وَلَمْ أَسْتَطِعِ التَّوْبَةَ مِنْهُ؛ لِأَنَّ الْمَوْتَ أَدْرَكْنِي أَنْ تُلْقِيَنِي فِي نَارِ جَهَنَّمَ، أَوْ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ فِيهَا مَعَ الْكَافِرِينَ وَالْفَاسِقِينَ وَالْفَاجِرِينَ.

وقوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»، أو: «فِتْنَةِ الْقَبْرِ» - كما في رواية - : وَعَذَابِ الْقَبْرِ: ضَرْبُ الْقَبْرِ بِمَقَامِعٍ مِنْ حَدِيدٍ عَلَى مَعَاصِيهِ وَفَجْوَرِهِ وَفَسْوَقِهِ.

وفتنة القبر: سؤال الملكين: مَنْ رَبُّكَ؟ مَا دِينُكَ؟ مَا تَقُولُ فِي الرَّجُلِ الَّذِي بَعَثَ فِيكُمْ؟ فَكُلُّ النَّاسِ يُفْتَنُ بِهَذِهِ الْأَسْئَلَةِ.

أما الطائع فيقول: رَبِّي اللَّهُ، دِينِي الْإِسْلَامُ، نَبِيِّ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، عَلَى هَذَا عِشْتُ، وَعَلَيْهِ مِتُّ.

وأما الفاسق والكافر والمنافق فيقول: هَاهُ لَا أَدْرِي!!

وقد يكون القبر: التراب الذي يدفن فيه الإنسان، وقد يكون البحر لمن غرق فيه، أو بطن السبع لمن افترسه، أو بطن السمك لمن أكله، فالمكان الذي يموت فيه الإنسان ويحتوي جسده يكون قبره، ويعذب فيه بكيفية لا نعلمها؛ لأن القبر من أمور الآخرة.

وعذاب القبر ثابت بنص القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وإجماع الأمة.

فأما القرآن الكريم:

فقد قال الله - تعالى - في آل فرعون: ﴿التَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ .
[غافر: ٤٦].

فقوله: ﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ يعني: في الدنيا، إذا فهم يعذبون.

وأما من السنة النبوية المطهرة:

فقد قال النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» .

فهل يعقل أن يأمرنا النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أن نتعوذ

من شيء لا وجود له!؟

وأما الإجماع:

فقد نقله غير واحد من أهل العلم منهم ابن أبي العز الحنفي في «شرح العقيدة الطحاوية»^(١)، والإمام أبو الحسن الأشعري في «الإبانة عن أصول الديانة»^(٢)، وغيرهما.

ومعنى الاستعاذة من عذاب القبر: إما أنها استعاذة من عذاب القبر نفسه، أو من الأسباب المؤدية إليه.

ومن الأسباب المؤدية إلى عذاب القبر:

١- الغيبة والنميمة.

٢- عدم الاهتمام بالطهارة (عدم التحرز من النجاسة).

روى الإمام مسلم عن ابن عباس قال: مر رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على قبرين فقال: «أَمَا إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ

(١) قال رَحْمَةُ اللهِ: «... وَقَدْ تَوَاتَرَتْ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي ثُبُوتِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ ... فَيَجِبُ اعْتِقَادُ ثُبُوتِ ذَلِكَ وَالْإِيمَانُ بِهِ ...» اهـ بتصرف. (٥٧٨ / ٢)، طبعة مؤسسة الرسالة، بتحقيق شعيب الأرنؤوط، وعبد الله بن عبدالمحسن التركي.

(٢) قال رَحْمَةُ اللهِ: «وقد أجمع على ذلك الصحابة والتابعون رضي الله عنهم أجمعين» اهـ. ص (١٥)، طبعة دار الأنصار بالقاهرة، تحقيق الدكتورة فوقية حسين محمود.

فِي كَبِيرٍ؛ أَمَّا أَحَدُهُمَا: فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الْآخَرُ: فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ» (١).

فقوله: «فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ»، أي: يُوقِعُ بَيْنَ النَّاسِ بِنَقْلِ الْكَلَامِ عَنْ بَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ، وَيَطْعَنُ فِي أَعْرَاضِ النَّاسِ.

وقوله: «فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ»، أي: حِينَمَا يَتَبَوَّلُ يَرْتَدُّ إِلَيْهِ رِزَازُ الْبَوْلِ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «إِنَّ أَكْثَرَ عَذَابِ الْقَبْرِ مِنَ الْبَوْلِ» (٢)، فَمَعْظَمُ الْمَعْدُومِينَ فِي قُبُورِهِمْ بِسَبَبِ عَدَمِ احْتِرَازِهِمْ مِنَ النَّجَاسَةِ، أَوْ أَنَّهُمْ يَتَبَوَّلُونَ فَلَا يَسْتَنْجُونَ، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَا يَحْسِنُونَ الِاسْتِنْجَاءَ؛ لِأَنَّ آبَاءَهُمْ لَمْ يَعْلَمُوهُمْ، أَوْ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَجْلِسُوا إِلَى الْمَشَايخِ؛ فَتَرَى الْوَاحِدَ مِنْهُمْ يَتَبَوَّلُ وَتَبَقَى قَطْرَةٌ أَوْ قَطْرَتَانِ فَتَصِيبُ الْمَلَابِسَ.

وَمِنَ الْمُبَشِّرَاتِ: قَوْلُ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «إِنَّ سُورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ ثَلَاثُونَ آيَةً شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّى غُفِرَ لَهُ، وَهِيَ: ﴿تَبَرَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]» (٣).

(١) (صحيح) أخرجه مسلم برقم [٢٩٢].

(٢) (صحيح) أخرجه ابن ماجه برقم [٣٤٨]، وأحمد برقم [٩٠٥٩].

(٣) (حسن لغيره)، أخرجه أبو داود برقم [١٤٠٠]، والترمذي برقم [٢٨٩١]، وأحمد برقم [٧٩٧٥].

قوله: «وَمِنْ فِتْنَةِ الْحَيَا وَالْمَمَاتِ»: - قد ذكرنا معناها في تعوذٍ سابق -، ففتنة الحيا هي: المعاصي التي يقع فيها الإنسان من الشهوات أو الشبهات، وفتنة الممات: أن يموت الإنسان غير تائب، أو يموت على الكفر عياداً بالله.

قوله: «وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ»: ظهور المسيح الدجال من علامات الساعة الكبرى، وهو أعور، عينه عنبٌ طافية مثل حبة العنب، يأتي ويقول: أنا ربكم!! ومكتب بين عينيه فوق جبينه: «كافر» لا يراها إلا المؤمن، ومعه بعض الأمور التي تخالف المعهود عند الناس فتنةً للفاسقين والضالين، وقد قال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ»^(١)، وهي من أعظم الفتن، نسأل الله أن يحفظنا منها.

قوله: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ»: المأثم: الأمور التي تستوجب الإثم وهي المعاصي، والمغرم: الديون التي يعجز الإنسان عن قضائها؛ ولأن من يستدين يعدُّ المدينين بأنه سيقضي في يوم كذا، فيأتي الأجل فلا يوفي بوعدده، أو يقول: ليس معي مال اليوم، وربما كان معه؛ فيكذب!!

(١) (صحيح) أخرجه مسلم برقم [٨٠٩]، واللفظ له، وأبو داود برقم [٤٣٢٣]، وأحمد برقمي [٢١٧١٢، ٢٧٥٤٠]، وزاد أبو داود وأحمد قبل قوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «الدَّجَالِ»، كلمة: «فِتْنَةٌ».

وقوله: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ؛ حَدَّثَ فَكَذَبَ»، يحلف أنه لا يملك مالا في يومه هذا، مع أنه يملك ما يُمكنه من القضاء.

وقوله: «وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ»، يقول: لا يطلع الصبح، أو لا يأتي الليل إلا ومالك عندك، ثم لا يذهب إليه!!

قوله: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْفَقْرِ»، الفقير مُطالب بالصبر، وفتنة الفقر: الجزع والسخط.

إن من الناس من ينعي حظَّه السيئ ورزقه الضيق! وليته يعلم أن الله عَزَّجَلَّ قسم الأرزاق بحكمته، فربما يغنيه الله عَزَّجَلَّ فيفسده الغنى، قال عَزَّجَلَّ: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴿٦﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْجَلَّ ﴿[العلق: ٦-٧]، وقال: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٧].

ومن فتنة الفقر: حسد الأغنياء، والتطلع إلى ما في أيديهم.

ومنها: استعجال جمع المال من الحرام.

قوله: «وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى»: وهي التكبر على الناس.

أو أن صاحب المال يريد زيادة ماله وتنميته، فيطلب ذلك بالحرام؛ فيتعامل بالربا، أو البيوع المحرمة، مثل أصحاب المزارع؛

حيث يُسَمِّدُونَ الزرع بالهرمونات المسببة للسرطان، أو أصحاب
التجارات الذين يضعون ملصقات السلع الأصلية على السلع
المغشوشة، ثم يبيعونها على أنها أصلية، وقد قال النبي - صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «وَلَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وَاذِيًا مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى إِلَيْهِ ثَانِيًا، وَلَوْ
كَانَ لَهُ ثَانِيًا لَابْتَغَى إِلَيْهِ ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ،
وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ» (١).

وقوله: «وَمَنْ فِتْنَتِ الْمَالِ»، أي: منع المال عمن يستحقه، فلا
يجرح الزكاة ولا الصدقات، ولا ينفق في وجوه الخير، أو أن يأخذ
المال من الحلال فينفقه في الحرام.



ä ââ · ä ãæã â

من التعوذات النبوية ما ورد في الحديث الصحيح عن أبي هريرة
أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كان يتعوذ من: سُوءِ الْقَضَاءِ، وَمِنْ
دَرْكِ الشَّقَاءِ، وَمِنْ شِمَاتِ الْأَعْدَاءِ، وَمِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ (١).

قوله: «سُوءِ الْقَضَاءِ»، القضاء هو: ما قضاه الله عَزَّجَلَّ بشأنك
مما يقع لك.

ويمكن أن يكون سوء القضاء في الدِّين، أو في الأَوْلَاد، أو في
النفس، أو في الخاتمة.

فأنت تتعوذ بالله من سوء القضاء يعني: الخاتمة السيئة، فترجو
أن ينجّم لك على الإيمان.

أو أن المعنى: أنه يتعوذ من أن يصيبه شيء في دينه، كما قال النبي
- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «..وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا..» (٢).

أو أن تكون الزوجة نقمة على زوجها، أو الزوج نقمة على
زوجته، أو أن يكون أحدهما بلاءً للآخر.

(١) (متفق عليه) تقدّم تخريجه، ص (٤٤)، هامش (٢).

(٢) (حسن) أخرجه الترمذي برقم [٣٥٠٢].

فقد تكون الزوجة منغصة لحياة زوجها، إذا كلّمها سمع منها ما يكره؛ لسلاطة لسانها، فإذا نظر إليها اغتم؛ إذ أنها لا تهتم بنفسها، وكذلك الزوج، قال الله عزّ وجلّ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِكِ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عُدُوًّا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤].

قوله: «وَمِنْ دَرَكِ الشَّقَاءِ»، يجوز في «دَرَكِ» فتح الراء وتسكينها، يعني: لحاق الشقاء.

والشقاء: أن يخسر الإنسان دينه، أو تُنغصَ عليه معيشته.

قوله: «وَمِنْ شِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ»، شِمَاتَةُ العدو: فرحُه بما يصيبك من المكاره، كالمرض، فتجد بعضهم يقول: ألا ترى ما حدث لفلان؟ وسيقع له أكثر من ذلك، ونسي قول القائل: «لا تظهر شِمَاتَةَ بَأَخِيكَ، فيعافيه الله منها ويبتليك»، والذي يشمت في المسلم هم اليهود والمشركون وسائر الكافرين، أما المسلم فلا يشمت في أخيه، قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنْ تَمَسَّكُمُ حَسَنَةٌ نَسُّوهُمْ وَإِنْ نُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

إذا أصابك خيرٌ وقع على عدوّك غم عظيم، وإذا أصابتك مصيبةٌ أو بليّةٌ فرح أعظم الفرح، فأنت تقول: اللهم عافني وأعذني من شِمَاتَةِ عدوي.

فأشد شيء على الإنسان أن يرى الشماتة في عيون عدوه فأنت تدعو الله عَزَّجَلَّ أَنْ لَا يَرِيَّ عَدُوَّكَ مَا يَصِيْبُكَ مِنَ الْأَلَامِ وَالْمَصَائِبِ، وتقول: يَا رَبِّ اجْعَلْنِي فِي خَيْرِ وَقْوَةٍ وَتَقَدُّمٍ، حَتَّى لَا يَشْمِتَ بِي عَدُوِّي، وَهَذَا مَا قَالَ عَنْهُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «اللَّهُمَّ اخْفِظْنِي بِالْإِسْلَامِ قَائِمًا، وَاخْفِظْنِي بِالْإِسْلَامِ قَاعِدًا، وَاخْفِظْنِي بِالْإِسْلَامِ رَاقِدًا، وَلَا تُشْمِتْ بِي عَدُوًّا حَاسِدًا...» (١).

قوله: «وَمِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ»، والجهد: المشقة والتعب الشديد، والبلاء: هو ما يبتلى به الإنسان من أمور كثيرة، وقد يكون البلاء شديدًا وقد يكون هينًا، وربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رَحِيمٌ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «إِنَّ الْمَعُونَةَ تَأْتِي مِنَ اللَّهِ عَلَى قَدْرِ الْمُؤْنَةِ، وَإِنَّ الصَّبْرَ يَأْتِي مِنَ اللَّهِ عَلَى قَدْرِ الْبَلَاءِ» (٢).

(١) (حسن) أخرجه الحاكم في «المستدرک» برقم [١٨٥٧]، والطبراني في «الدعاء» برقم [١٤٤٥]، والبيهقي في «الدعوات الكبير» برقم [٢١٠].
 (٢) (حسن بطرقه وشواهد) أخرجه البزار في «مسنده» ص ١٥٦ زوائد ابن حجر)، والفاكهي في «حديثه» (١/٢٠/١)، وابن عدي في «الكامل» (١/٢٠٦)، والحارث بن أبي أسامة في «مسنده» ص (١٠٢)، والدليمي في «مسنده» (٢/١-٢٤٦-٢٤٧)؛ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه أخرجه أبو جعفر البخاري في «سته مجالس من الأمالي» (ق ١١٤/٢)؛ عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وانظر: «السلسلة الصحيحة» (٤/٢٢٥) برقم [١٦٦٤]؛ للشيخ الألباني، فقد قال عنه «صحيح».

وروى الإمام أحمد عن مصعب ابن سعد، عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل من الناس، يُبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابةٌ زيد في بلائه، وإن كان في دينه رقةٌ خُفِّفَ عنه، وما يزال البلاء بالعبد حتى يمشي على ظهر الأرض ليس عليه خطيئة» (١).

قال الله - تعالى - : ﴿ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٢].

وقال عز وجل: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّا نَصْرُ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ٢١٤].

إِذَا فَجَّهَدُ الْبَلَاءِ أَي: البلاء الشديد الذي لا يُحْتَمَلُ.

فأنت تقول: «وَمِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ»، أي: يارب قوّني على مواجهة البلاء بالصبر والرضا والتسليم.

(١) (حسن) أخرجه أحمد برقم [١٤٨١]، وعبد بن حميد [١٤٦]، والدارمي [٢٧٨٣]، والحاكم (١/٤١)، والطيالسي [٢١٥]، وابن أبي شيبة (٣/٢٣٣)، والبزار [١١٥٥]، وابن حبان [٢٩٠٠]، و[٢٩٢١]، والبيهقي في «السنن» (٣/٣٧٢-٣٧٣)، وفي «الشعب» [٩٧٧٥].

وجهد البلاء: هو الذي يُفَضَّلُ الإنسانُ الموتَ على أن يقاسي آلامه، أو هو: قلة المال مع كثرة العيال، أو هو: الأمور الشاقة التي لا تطاق، فتَعَوَّذُ بالله من ذلك كله.

وعندنا تعوذ آخر يشمل أمورًا متعددة وهو تعوذ من التعوذات النبوية المباركة؛ يقول النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالسُّبْحَنِ، وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَالْقَسْوَةِ، وَالغَفْلَةِ، وَالْعَيْلَةِ، وَالذَّلَّةِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ، وَالْكَفْرِ، وَالْفُسُوقِ، وَالشَّقَاقِ، وَالنَّفَاقِ، وَالسُّمْعَةِ، وَالرِّيَاءِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الصَّمَمِ، وَالْبِكَمِ، وَالْجُنُونِ، وَالْجُدَامِ، وَالْبَرَصِ، وَسَيِّئِ الْأَسْقَامِ» (١).

فقوله: «وَالْهَرَمِ»، هو: أن يتقدم سنُّ الإنسان فتضعف أعضاؤه، ويضعف عن الحركة، ويضعف عقله فلا يدرك كثيرًا من الأمور، أمَّا أن يطول عمره مع قوة في الفهم والبدن؛ فهذا لا يُتَعَوَّذُ منه، روى الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن أبي بكر، عن أبيه، أن رجلاً قال: يا رسول الله، أي الناس خير؟ قال: «مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسَنَ عَمَلُهُ»، قال: فأَيُّ الناس شر؟ قال: «مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ» (٢).

(١) (صحيح) تقدّم تخريجه، ص (٤٤)، هامش (٣).

(٢) (صحيح) أخرجه الترمذي برقم [٢٣٣٠]، وأحمد بأرقام [١٧٦٨٠]،

قوله: «وَالْقَسْوَةَ» أن يكون قاسياً مع الناس، وأن يكون قاسياً مع زوجته وأولاده، قال الله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنَّفُضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فينبغي أن تكون رحيماً بالناس هيئاً لينا، قال النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ؟ أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ؟ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيْنٍ سَهْلٍ»^(١)، وقال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أيضاً: «إِنَّ لِلَّهِ آنِيَةَ مَنْ أَهْلَ الْأَرْضِ، وَأَنْيَةَ رَبِّكُمْ قُلُوبُ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، وَأَحَبُّهَا إِلَيْهِ أَلَيْنُهَا وَأَرْقُهَا»^(٢).

فهل أنت من آنية الله عزَّجَلَّ؟

هل أنت وعاء لرحمة الله - تعالى - ودينه؟

(١) (حسن) أخرجه الترمذي برقم [٢٤٨٨]، وأبو يعلى في «مسنده» برقم [٥٠٥٣]، والطبراني في «المعجم الكبير» برقم [١٠٥٦٢].

(٢) (صحيح بمجموع طرقه وشواهده) أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» [٨٤٠]، وفيه بقية بن الوليد، وهو ثقة كثير التدليس عن الضعفاء، وقد عنعن في روايته، وقد نقل صاحب «المقاصد الحسنة» فيها اشتهر على الألسنة» (١/٤٣٩) أنه قد صرح بالتحديث. انظر: «السلسلة الصحيحة» (٤/٢٦٣) برقم [١٦٩١].

قوله: «وَالْغَفْلَةَ»، قال - تعالى -: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]، وقال: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

فالغفلة: هي أن يتغافل الإنسان عما وجب عليه من الطاعات فيَقْصِرَ فيها ولا يقوم بها.

قوله: «وَالْعَيْلَةَ»، وهي أن تكون مطالب الإنسان كثيرةً وليس عنده ما يكفيه إياها، قال تعالى: ﴿وَإِن خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ﴾ [التوبة: ٢٨]؛ فالعيلة: قلة المال مع كثرة العيال، أو قلة الموارد مع كثرة الاحتياجات.

قوله: «وَالذِّلَّةَ»، أي: المسكنة، وقد قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءٌ وَبِعَضْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾ [آل عمران: ١١٢].

فمعنى الذلّة: الصَّغَارُ وَالْهَوَانُ وَالْحَقَارَةُ بأن يتسلط عليك غيرك فيُذِلُّكَ ويؤذيك ويتحكّمُ فيك.

أما الْمَسْكَنَةُ فهي: أن تكون عند الإنسان كافةً الإمكانات وهو من داخله مهزوم نفسيًا، فالمسكنة فقْرٌ قَلْبِيٌّ وَضَعْفٌ نَفْسِيٌّ.

قوله: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ»؛ لأن الفقر قد يؤدي بالإنسان إلى طلب الحرام.

قوله: «وَالْكَفْرِ» يعني: ثَبَّتَنِي على ديني حتى أموت على كلمة التوحيد.

«وَالْفُسُوقِ»، يعني: الخروج عن طاعة الله - تعالى -، أو الوقوع في المعاصي.

«وَالشُّقَاقِ»، وهو: الاختلاف والتنازع.

«وَالنِّفَاقِ»، وهو صفة المنافق: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اتَّمَّنَ خَانَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ.

قوله: «وَالسُّمْعَةِ وَالرِّيَاءِ»، معنى السُّمْعَةِ: أن يقول الإنسان عن نفسه شيئاً يُسْمِعُهُ للناس وهو لم يعملها، لأنه يريد أن يُوصَفَ بها ليس فيه، أو يعمل العمل سرّاً ثم يسمعه للناس، أما الرياء: فهو أن يعمل عملاً يريد به وجه الناس لا وجه الله - تعالى -.

أو السمعة والرياء: أن يُرِضِيَ الظَّلَمَةَ لِيَأْكُلَ، أو لِيَلْبَسَ، أو يشهر إنساناً لا يستحق الشهرة، وقد قال النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «مَنْ أَكَلَ بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ أَكَلَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ يَطْعَمُهُ مِثْلَهَا

مِنْ جَهَنَّمَ، وَمَنْ كَسِيَ ثَوْبًا بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَكْسُوهُ مِثْلَهُ مِنْ جَهَنَّمَ، وَمَنْ قَامَ بِرَجُلٍ مَقَامَ سَمْعَةَ وَرِيَاءٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُومُ بِهِ مَقَامَ سَمْعَةَ وَرِيَاءٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (١).

ومعنى الحديث: التشنيع على من يفتن على الناس عند الظلمة مقابل أكلة يأكلها أو ثوب يلبسه، يمنحها الظالم لهذا الفتان الذي يفضح الناس عنده.

وكذلك التشنيع على من يمدح الناس بغير وجه حق، ويزكيهم ويثني عليهم وليسوا كذلك، وذلك ليرضي هؤلاء الممدوحين. وقد توعد النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كل واحد من هؤلاء بالفضيحة والعقاب الشديد يوم القيامة.



(١) (حسن بطرقه) أخرجه أبو داود برقم [٤٨٨١]، وأحمد برقم [١٨٠١١].

à â ââ à ää à â ää

هذه تعوذات نبوية متنوعة، تعوذات من شرور كثيرة تشمل أمور الدين والدنيا والآخرة، والحياة والممات.

: äæ ä â ää ä

عن عقبه بن عامر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ يَوْمِ السُّوءِ، وَمَنْ لَيْلَةِ السُّوءِ، وَمَنْ سَاعَةِ السُّوءِ، وَمَنْ صَاحِبِ السُّوءِ، وَمَنْ جَارِ السُّوءِ، وَمَنْ جَارِ السُّوءِ فِي دَارِ الْمُقَامَةِ» (١).

وجار السوء: هو الذي إذا رأى عندك حسنة كتمها ودفنها، وإذا رأى عندك سيئة أشاعها وأذاعها.

وكذلك التعوذ من ليلة السوء - وهي آخر ليلة في حياة الإنسان - أن يأتيه ملك الموت وهو عاصٍ فيها، ويوم السوء: أن يموت بالنهار وهو عاصٍ، وساعة السوء أي: ساعة الاحتضار التي لا يتمكن الإنسان فيها من قول: لا إله إلا الله.

قوله: «وَمَنْ جَارِ السُّوءِ فِي دَارِ الْمُقَامَةِ»، هذا لأن جَارِ البادية

(١) (إسناده صحيح) سبق تخريجه، ص (٤٥)، هامش (١).

يترحل أو يتحول، فأهل الصحراء ينصبون الخيام، فإذا نصب جار سوء خيمته بجوارك: فإما أنه يرحل بعد زمن، وإما تنقض أنت خيمتك وترحل، أما إذا كنت في بلد وقد استقرت فيها حالك، ورتبت فيها أمورك وأمور أولادك، فمن العسير عليك أن تتحول عن مكان إقامتك الذي أنت فيه، وجار السوء لن يرحل، فلا تملك إلا أن تستعيذ بالله منه.

وينبغي على الجار أن يكون محسناً إلى جاره كما قال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنِ إِلَى جَارِهِ...»^(١)، وفي رواية: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ...»^(٢)، وفي رواية: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ...»^(٣).

قوله: «وَمِنْ صَاحِبِ السُّوءِ»، أي: الصديق الذي يُبْعِدُكَ عَنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

(١) (صحيح) أخرجه مسلم برقم [٤٨]، وابن ماجه برقم [٣٦٧٢]، وأحمد برقمي [٢٧١٥٩، ٢٣٤٩٦].

(٢) (صحيح) أخرجه البخاري [٦٠١٩]، وأحمد [١٦٣٧٤، ٢٧١٦١].

(٣) (صحيح) أخرجه البخاري برقمي [٦٠١٨، ٦١٣٦]، وأحمد برقمي [٢٤٤٠٤، ٧٦٢٦].

· âââ ää ääâââ · ä ää · ää ä äâ â

وهذه الفتن كثيرة، قال النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «تَكُونُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتْنٌ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ» أي: كل فتنة أشد سوادًا من التي قبلها، «يُضْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُضْبِحُ كَافِرًا» يكون في المساء مؤمنًا طائعًا، وفي الصباح فاجرًا عاصيًا، وهكذا بالعكس، «يَبِيعُ أَقْوَامٌ دِينَهُمْ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»^(١)، فتنتهم الدنيا، فعلمنا النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أن نعوذ بالله من الفتن، وهي كثيرة تتلاحق علينا من كل مكان - نعوذ بالله منها - .

وفي الحديث الصحيح عن زيد بن ثابت قال: كنا مع رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في حائط من حيطان المدينة فيه أقبر، ست أو خمس وهو على بغلته، فحادت به وكادت أن تلقيه، فقال: «مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْبُرِ؟»، فقال رجل: يا رسول الله، قوم هلكوا في الجاهلية، فقال: «لَوْلَا أَنْ لَا تَدَافِنُوا لَدَعَوْتُ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»، ثم قال لنا: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ»، قلنا: نعوذ بالله من عذاب جهنم، ثم قال: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ»، فقلنا: نعوذ بالله من فتنة المسيح الدجال،

(١) (صحيح) تقدم تخرجه ص (٨)، وص (١٧٥).

وقوله: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ، وَمِنْ فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ»، أي: أعوذ بك أن أقع في معصية، أو أن أُبدّل في دينك، أو أُغَيَّرَ فيه، أو أفعل ما لا يليق، فأحرَمَ من لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقاءك؛ لأن المعاصي تمنع الإنسان من الوصول إلى أعلى درجة من درجات النعيم، وهي: لذة النظر إلى وجه الله، والشوق إلى لقائه.

﴿١﴾

إن من الناس من يكتز الذهب، ومنهم من يكتز الفضة، ومنهم من يكتز الجنيهات، ومنهم من يكتز الدولارات.

وقد أمرنا النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حينما نرى الناس يكتزون الذهب والفضة وحُطام الدنيا؛ أن نكتز هذه الكلمات، فهي كَنْزٌ يَحْمِينَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فعن حسان بن عطية، قال: كان شداد ابن أوس في سفر، فنزل منزلاً، فقال لغلامه: ائتنا بالسفرة نَعْبَثُ بها، فأنكرت عليه، فقال: ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت إلا وأنا أخطمها وأزمها غير كلمتي هذه، فلا تحفظوها عَلَيَّ، واحفظوا مني ما أقول لكم: سمعت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: «إِذَا كَنَزَ النَّاسُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ، فَالْكَنْزُ هُوَ لِأَوْلِيَاءِ الْكَلِمَاتِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ

(١) وقد قمنا بفضل من الله - تعالى - بإعداد شرح وافٍ لهذا الكنز النبوي. يسر الله - تعالى - طباعته.

قوله: «اللَّهُمَّ لَكَ أَسَمَلْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ»، الإسلام يكون بالأعمال الظاهرة على الجوارح، والإيمان عمل بالقلب.

قوله: «وَبِكَ خَاصَمْتُ» أي: بك خاصمت أعدائي، وبك أَدَفَعُ في نحورهم.

· ä ä ä · ä ä ä

إن من لم يستطع أن يحفظ ما تقدم من التعوذات، فإنه يكفيه أن يحفظ هذا التعويذة؛ لأنها الجوامع الكوامل؛ فهي كاملة جامعة مانعة، وقد علمها النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لأم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

عن أم كلثوم، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دخل على رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فأراد أن يكلمه، وعائشة تصلي: فقال لها رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «عَلَيْكَ بِالْكَوَامِلِ»، أو كلمة أخرى، فلما انصرفت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سألته عن ذلك؟ فقال لها: «قَوْلِي اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ

قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ مَا سَأَلْتُكَ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، وَأَسْتَعِيدُكَ مِمَّا اسْتَعَاذَكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، وَأَسْأَلُكَ مَا قَضَيْتَ لِي مِنْ أَمْرٍ أَنْ تَجْعَلَ عَاقِبَتَهُ رَشْدًا» (١) .

فمن حفظ هذا الدعاء الشامل لكل أمر من أمور الدنيا والآخرة فكأنه استعاذ من كل شيء استعاذ منه النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .

قوله: «وَأَسْأَلُكَ مَا قَضَيْتَ لِي مِنْ أَمْرٍ أَنْ تَجْعَلَ عَاقِبَتَهُ رَشْدًا»، يعني: أن تكون عاقبة كل أمر أقوم به النجاح والفلاح يا رب العالمين.

هذا ما يَسَّرَ اللَّهُ - تعالى - إِذَاعَتَهُ وَنَشْرَهُ، فَلهُ الْحَمْدُ أَوْلًا وَآخِرًا، وَظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ نَبِينَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

